

# مقدمات في بيان أركان التوحيد وأدلته ، وشروطه

أ.د خالد بن مفلح آل حامد  
عضو هيئة التدريس بالمعهد العالي للقضاء

١٤٤٣هـ

## بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد

فهذا مؤلف يسير في بيان أعظم أركان الإسلام ، وهو ركن الشهادتين ، فكل ركن من أركان الإسلام ، له أركان وشروط وواجبات ، استنبطها العلماء من استقراء الأدلة ، ومن المعلوم أن نصوص الكتاب والسنة ، لم تنص على كون هذا ركنا ، أو شرطا ، أو واجبا ، سواء كان في أبواب العقيدة أو الفقه . وإنما هي مجرد اصطلاحات ، يراد منها التيسير والتوضيح لطلبة العلم ، ولكنها تستند على استقراء أدلة الكتاب والسنة الصحيحة .

لقد كثرت المؤلفات في بيان التوحيد إجمالا ، وجميع مسائل العقيدة تفصيلا ، فليس هناك مسألة من مسائل العقيدة لم يتم بحثها ، ولكن بعض مسائل العقيدة تحتاج إلى جمع ماتفرق من كلام أهل العلم فيها ، مثل بعض مسائل الفقه ، وهذا المؤلف هو من هذا القبيل ، فهو يتناول لب العقيدة ، وهو التوحيد ، ولكن من وجه آخر لم يتم جمع كلام أهل العلم عنه ، ولم يتم بحثه استقلالاً . فجميع أركان الإسلام تم بيانها من حيث الأركان ، والشروط ، كالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، سوى الركن الأول من أركان الإسلام ، وهو ركن الشهادتين ، فإنني بعد البحث والتقصي لم أقف على من خص هذا الموضوع بمؤلف مستقل ، يبين فيه أركان الشهادتين ، وما تضمنه كل ركن من المعاني ، مع بيان أدلة ذلك كله من الكتاب والسنة ، ومثل ذلك في الشروط ؛ فإن من تحدث عنها ، ذكرها كشروط خاصة بلا إله إلا الله دون الشهادة الأخرى "بأن محمدا رسول الله" ، والشروط في حقيقة الأمر شاملة لهما ، وبعضهم ربما يدخل في الشروط ما يعد ركنا من أركان الشهادتين ، كمن أدخل الكفر بما يعبد من دون الله في الشروط ، وهو من أهم أركان شهادة لا إله إلا الله وهو النفي . فرأيت أن الحاجة ماسة في بيان أهم أركان الإسلام من حيث أركانه وشروطه ، وجمع كلام أهل العلم حوله ، وليس في هذا الكتاب شيء جديد لم أسبق إليه ، بل هو مستخلص من كلام أهل العلم ، فقامت باستقراء كلامهم حول هذا الموضوع وجمعت بينه ، فإن بعضهم يكمل بعضا ، ومن أهم المصادر في ذلك :

- مجموع مؤلفات للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، فإنه لا يكاد يخلو مؤلف من مؤلفاته إلا وهو يتحدث عن هذه القضية ، وعلى وجه الخصوص: كتاب التوحيد ، ومعظم شروحه من قبل أئمة دعوة التوحيد من بلاد نجد.

- بعض الكتب لشيخ الإسلام بن تيمية وتلميذه بن القيم رحمهما الله تعالى.

- بعض الكتب للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى .

لقد عشت مع موضوع هذا المؤلف سنوات طويلة ، تقرب من العشرين سنة ، فلازلت أصحح ، وأنقح ، وأزيد وأنقص حتى خرج بهذه الحلة ، والتي برغم بذل غاية الجهد فيها ، ستظل جهدا بشريا لن يخلو من النقص بحال . فما كان فيه من صواب فمن الله وحده ، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان ، والله ورسوله منه بريان .

منهجي في هذا الكتاب :

- جعلت الكتاب في خمس مقدمات ، وكل مقدمة تتضمن بعض المسائل على النحو التالي :
- المقدمة الأولى : في بيان أركان التوحيد ، وفيها خمس مسائل .
- المقدمة الثانية : في بيان أدلة أركان التوحيد ، وفيها أربع مسائل .
- المقدمة الثالثة: في بيان شروط التوحيد ، وفيها ثمان مسائل .
- المقدمة الرابعة: في بيان أدلة شروط التوحيد ، وفيها سبع مسائل .
- المقدمة الخامسة: في بيان الشرط الثامن من شروط التوحيد ، وفيها ست مسائل .

اقتصرت في هذا الكتاب على نصوص الكتاب ، ونصوص السنة الصحيحة في معظم المواضع ، مع التوضيح -باختصار- للمقصود في بعضها ، مستعينا في ذلك ببعض نصوص أهل العلم، والإشارة في بعض المواضع لأهم المسائل المتعلقة بكل ركن أو شرط ، سائلا المولى جل شأنه أن ييسر شرحه شرحا وافيا في قريب الزمان ، أو يقيض له من يقوم بذلك ، إنه جواد كريم .

• أذكر كل ركن ، مع بيان ما يتضمنه من المعاني ، والاستدلال لكل معنى ، بنصوص الكتاب والسنة الصحيحة .

• أذكر الشروط وأقسامها ، وأدلة كل شرط ، ووجه ربطه بركن الشهادتين .

• قمت بتخريج الأحاديث وبيان الحكم عليها ، مالم تكن في الصحيحين ، أو في أحدهما ، وهو الأعم الأغلب .

أسأل الله العظيم ، أن ينفع به ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، إنه سميع قريب مجيب الدعوات وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

خالد بن مفلح عبدالله آل حامد .

يوم الجمعة السادس والعشرون من شهر ذي القعدة

من سنة إحدى وأربعين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية

## المقدمة الأولى في بيان أركان التوحيد وفيها خمس مسائل:

**المسألة الأولى:** أركان التوحيد أربعة ، دل عليها الاستقراء :

- ١- الركن الأول : النطق بالشهادتين . ٢- الركن الثاني: النفي .
- ٣- الركن الثالث: الإثبات . ٤- الركن الرابع: المتابعة .

**المسألة الثانية:** أركان الشهادتين هي أركان التوحيد لثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن أركان الإسلام خمسة : أول ركن منها جزءان : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله" فهما ركن واحد لا يتجزأ<sup>(١)</sup> ، وهما نصفان لا يصح أحدهما دون الآخر .

الوجه الثاني : أن لفظ التوحيد يطلق على الشهادتين معا ، ويطلق على كل واحدة منهما إذا انفردت عن الأخرى ؛ لأن إحدى الشهادتين عند الأفراد تدخل فيها الأخرى ضمنا ، فإذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا ، فإن إحدى الشهادتين عند الانفراد تشمل جميع أركان الإسلام ومما يدل على ذلك أحاديث منها:

١- ماجاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة وفد قيس وفيه: "فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارٍ مُضَرٍّ ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصَلِّ نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا ، وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ . وَسَأَلُوهُ عَنِ الْأَشْرِيَةِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ ، وَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ ، أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ، قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ . "

(٢)

(١) - فإن قلت : لقد قمت بتقسيم هذا الركن إلى أربعة أركان . فكيف يصح قولك بأنه لا يتجزأ؟ قلت : المقصود بعدم صحة التجزئة: أنه لا يمكن أن يصح أحد الجزئين بدون الآخر عند التطبيق العملي ، فالاعتقاد بأنه لا إله إلا الله ، لا يصح ، إذا لم يتضمن الاعتقاد بأن محمدا رسول الله ، وأما التقسيم النظري فالمراد منه التوضيح لمكونات هذا الركن فلا يدخل في هذا ، ومثله بقية أركان الإسلام التي قسمها العلماء إلى أركان وشروط وواجبات . والله تعالى أعلم .

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٢٠) برقم: (٥٣) (كتاب الإيمان ، باب أداء الخمس من الإيمان) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٥) برقم: (١٧) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه) (بنحوه).

٢- ماجاء في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في بيان أركان الإسلام ، فقد جاء في بعض ألفاظه ما يدل على هذا المعنى ومن ذلك ما جاء في صحيح مسلم وفيه : " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ : عَلَى أَنْ يُؤَحَّدَ اللَّهُ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ ، وَالْحَجِّ " (١).

٣- وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذًا نَحْوَ الْيَمَنِ ، قَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُؤَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى ، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ ، فَإِذَا صَلَّوْا ، أَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَيْرِهِمْ ، فَإِذَا أَقْرَبُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ . " (٢)

٤- قوله ﷺ كما في صحيح مسلم عن أبي مالك الأشجعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله » (٣)

٥- وفي البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله " (٤).

ومن أجل ذلك فقد درج العلماء على إطلاق شهادة التوحيد على كلمة لا إله إلا الله فقط ، ولكنهم قطعاً يضمنونها الشهادة الأخرى: " أن محمداً رسول الله " فلا يمكن أن تصح بدونها إجماعاً . وهم عندما قصرُوا إطلاق شهادة التوحيد ، على الجزء الأول فقط ؛ فلأنه من المعلوم بالضرورة عندهم ، أن الجزء الثاني داخل فيها ضمناً، وإن لم ينصوا عليها في بعض المواضع. ولكن أكثر الناس اليوم لا يعقلون هذا ، فالنتيجه على أن شهادة التوحيد تشمل شهادة أن محمداً رسول الله أولى ؛ سداً لذريعة سوء الفهم ، وتوضيحاً لمقصود العلماء بهذا الإطلاق. والله تعالى أعلم.

الوجه الثالث: أن لفظ التوحيد ينطبق على كل واحدة من الشهادتين من حيث المعنى: فالشهادة بأنه لا إله إلا الله في توحيد المعبود ، والشهادة لمحمد ﷺ أنه رسول الله في توحيد المتبوع .

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٣٤) برقم: (١٦) (كتاب الإيمان ، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنِي الْإِسْلَامِ عَلَى خَمْسٍ) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١١٤) برقم: (٧٣٧٢) (كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٣٩) برقم: (٢٣) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٨٧) برقم: (٣٩٢) (كتاب الصلاة ، باب فضل استقبال القبلة) (بهذا اللفظ)

**السؤال الثالث:** دليل تقسيم التوحيد لأربعة أركان هو الاستقراء لأدلة الكتاب والسنة ، كما سيأتي مفصلاً ، وقد جاءت هذه الأركان بهذا التقسيم -بعينه- منصوصة في حديث ابن عمر رضي الله عنهما في بيان أركان الإسلام ونصه : " بني الإسلام على خمس : شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ " (١) . حيث قال في بيان الركن الأول من أركان الإسلام وهو ركن الشهادتين: " بني الإسلام على خمس : "شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله " فركن النطق أخذا من قوله : "شهادة" وركني النفي والإثبات أخذا من قوله : "أن لا إله إلا الله" ، وركن المتابعة أخذا من قوله : " وأن محمدا رسول الله " . على أن التقسيم عند العلماء -في العقيدة والعبادة إلى أركان وشروط وواجبات- مجرد اصطلاح يراد منه التوضيح والبيان كما تقدم ، ولا مشاحة في الاصطلاح إذا كان المعنى صحيحا . والله تعالى أعلم .

**السؤال الرابع:** الركن هو جزء الماهية ، وهذه الأركان هي أجزاء الشهادتين التي جاء نصها في حديث ابن عمر رضي الله عنهما المتقدم ، فمعنى الركن منطبق عليها لفظا ومعنى . والله تعالى أعلم .

**السؤال الخامس:** أركان الشهادتين هي أركان اعتقادية باستثناء ركن النطق ، ومعنى كونها اعتقادية: أي أنها متعلقة بالاعتقاد القلبي قولاً وعملاً ( قول القلب وعمله) وكذلك الشروط كما سيأتي . فالذي تضمنته الأركان الثلاثة: -" النفي والإثبات، والمتابعة" - من المعاني، مبناها على اعتقاد تلك المعاني والإيمان بها . وأما الركن الأول وهو النطق بالشهادتين، فهو عملي متعلق بجراحة اللسان . وقد أمضى رسول الله ﷺ عشر سنوات يؤسس لهذه المعاني الاعتقادية ويدعو إليها ، قبل تقرير بقية أركان الإسلام العملية ، مما يدل على عظم الأمر وأهميته . والله تعالى أعلم .

(١) - أخرج البخاري في "صحيحه" (١ / ١١) برقم: (٨) (كتاب الإيمان ، باب دعاؤكم إيمانكم) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٤) برقم: (١٦) (كتاب الإيمان ، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنِيِ الْإِسْلَامِ عَلَى خَمْسٍ) (بمثله).

## المقدمة الثانية في بيان أدلة أركان التوحيد وفيها أربع مسائل

### المسألة الأولى : أدلة الركن الأول: النطق بالشهادتين

وقد دل عليه الكتاب والسنة:

فمن الكتاب : قوله تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الآية ١٩ آل عمران ، وقوله تعالى : ﴿قُلْ أَنتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ من الآية ١٩ الأنعام ، وقوله تعالى : ﴿وَدَا النُّونَ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الآية ٨٧ الحج ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ من الآية ٣٠ فصلت .

ومن السنة:

- (١) قوله عليه الصلاة والسلام في الصحيحين : عن أبي هريرة رضي الله عنه في قصة ثمامة بن أثال وفيه " فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد **فقال أشهد** أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله " (١)
- (٢) وفي الصحيحين وهذا لفظ البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رضي الله عنه فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قال رضي الله عنه لأبي طالب يا عم **قل لا إله إلا الله** كلمة أشهد لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رضي الله عنه يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبي أن يقول لا إله إلا الله " (٢) .

(١) - صحيح البخاري ١/ ٩٩ باب الاغتسال إذا أسلم وربط الأسير أيضا في المسجد برقم ٤٦٢ ؛ صحيح مسلم ٥/ ١٥٨ برقم ٤٦٨٨ .

(٢) - صحيح البخاري م. م (٢/ ٩٥) باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله ر ١٣٦٠ ؛ صحيح مسلم ١/ ٤٠ ر ١٤١ .

(٣) وفي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم: **«من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»** (١)

(٤) وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه ( جاء رجل من بني النبيت قبيل من الأنصار فقال **أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله** ثم تقدم فقاتل حتى قتل فقال صلى الله عليه وسلم عمل هذا يسيرا وأجر كثيرا (٢) وهذا لفظ مسلم.

(٥) وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه... **قال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله** قال يا رسول الله إن اليهود قوم بهت فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي فجاءت اليهود فقال صلى الله عليه وسلم أي رجل عبد الله بن سلام فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وأفضلنا وابن أفضلنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام قالوا أعاده الله من ذلك فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك فخرج إليهم عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قالوا شرنا وابن شرنا وتنقصوه قال هذا كنت أخاف يا رسول الله (٣)

(٦) وفي صحيح عن أبي مالك الأشجعي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله » (٤)

(٧) وفي البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » (٥)

(١) - . صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار جزء: ١ صفحة: ٤٢ برقم ٢٨  
 (٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٢٠) برقم: (٢٨٠٨) (كتاب الجهاد والسير ، باب عمل صالح قبل القتال ) ومسلم في "صحيحه" (٦ / ٤٣) برقم: (١٨٩٩) (كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد ) ، (٦ / ٤٤) برقم: (١٩٠٠) (كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد )  
 (٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٣٢) برقم: (٣٣٢٩) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ) (هذا اللفظ)  
 (٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٣٩) برقم: (٢٣) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ) (هذا اللفظ)  
 (٥) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٨٧) برقم: (٣٩٢) (كتاب الصلاة ، باب فضل استقبال القبلة ) (هذا اللفظ)

٨) وفيهما عن بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال " أمرت أن أقاتل الناس **حتى يشهدوا** أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله" (١).

**وجه الاستدلال مما تقدم :** أن جميع هذه الآيات والأحاديث ، تدل على أن النطق بالشهادتين لا بد منه لكل من أراد دخول الإسلام ، وهو معنى حديث ابن عمر رضي الله عنهما المتقدم في بيان أركان الإسلام حين قال عليه الصلاة والسلام: " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ" (٢) ... الحديث . والله تعالى أعلم.

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٤) برقم: (٢٥) (كتاب الإيمان ، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٩) برقم: (٢٢) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله) (بمنله).  
(٢) - سبق تخريجه

## المسألة الثانية : أدلة الركن الثاني : النفي

ركني النفي والإثبات يتضمنان اعتقاد ثلاثة أمور إجمالاً:

أولاً: نفي الربوبية عن غير الله، فيشمل اعتقاد وجوب نفي الخلق والملك والتدبير عن غير الله ، وإثبات ذلك كله لله وحده .

ثانياً: ومن النفي: اعتقاد وجوب تنزيه الله عن كل صفة نقص ، وعن التمثيل أو التشبيه ، وإثبات صفات الكمال المطلق لله وحده في ذاته وأسماءه وصفاته.

ثالثاً: ومن النفي: اعتقاد وجوب الكفر بما يعبد من دون الله من الآلهة المزعومة وهذا يقتضي اعتقاد وجوب البراءة من ثلاثة أمور:

■ الأمر الأول: نفي الألوهية -وهي استحقاق العبادة- عن غير الله ، باعتقاد وجوب البراءة من كل معبود سوى الله ، واعتقاد بطلانها ، ويلزم منه في جانب الإثبات : وجوب اعتقاد أن المستحق للعبادة كلها هو الله وحده.

- **الأمر الثاني: وجوب البراءة من كل عبادة تصرف لغير الله ، باعتقاد بطلانها ، فيلزم منه في جانب الإثبات : إفراد الله وحده في القصد والطلب بجميع العبادات الظاهرة والباطنة<sup>(١)</sup> .**
- **الأمر الثالث: وجوب البراءة من أهل الشرك باعتقاد كفرهم وبطلان ملتهم ، ووجوب بغضهم وعداوتهم ، فيلزم منه في جانب الإثبات: اعتقاد وجوب تولي أهل التوحيد بنصرتهم ومحبتهم<sup>(٢)</sup> .**

فهذه خمس معان تضمنها ركني النفي والإثبات من حيث التفصيل، وهي ثلاثة عند الإجمال<sup>(٣)</sup>.

وفيما يلي أدلة كل معنى من تلك المعاني من الكتاب والسنة :

**أولا : نفي الربوبية عن غير الله ، فيشمل اعتقاد وجوب نفي الخلق والملك والتدبير عن غير الله ، وإثبات ذلك كله لله وحده . وقد دل عليه الكتاب والسنة :**  
**فمن الكتاب :**

(١) - فإن قيل : ألا يدخل هذا فيما قبله ؟ قلت : قد يوجد من يعتقد صحة عبادة غير الله ولو لم يصرف شيئا لغير الله ، بل لو صرف عبادته كلها لله فلا يغني عنه ذلك شيئا إذا كان يعتقد جواز صرف العبادة لغير الله ، فهنا لم تتحقق البراءة كاملة ، فالبراءة الكاملة توجب عدم صرف العبادة لغير الله من قبله أو قبل غيره . ولذا حسن التفريق بينهما . فالأمر الثاني هو من لازم الأول ، فالبراءة من المعبود سوى الله يقابله اعتقاد وجوب صرف جميع أنواع العبادة لله لأنه المستحق للعبادة وحده ، فكل آلهة غير الله فهي آلهة باطلة ، فلا أحد يستحق العبادة - التي هي من عمل العباد - إلا الله ، فيجب إفراده بالقصد والطلب بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة . فالأول يتعلق بموقف العبد من الآلهة الباطلة من جهة وجوب اعتقاد بطلانها ، والثاني يتعلق بموقف العبد من حيث اعتقاد وجوب إفراد الله وحده في القصد والطلب - منه ومن غيره - بجميع أنواع العبادة الظاهرة أو الباطنة . فلا يعتقد جواز صرف العبادة لغير الله سواء كان الصارف لها هو ، أو غيره . قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في إحدى رسائله: " فالنهي عن الشرك ، يستلزم الكفر بالطاغوت ، ولا إله إلا الله الإيمان بالله ، وهذا وإن كان متلازما فيوضحه لكم الواقع وهو: أن كثيرا من الناس يقول: لا أعبد إلا الله ، وأنا أشهد بكذا ، وأقر بكذا ويكثر الكلام ، فإذا قيل له ما تقول في فلان وفلان إذا عبدا أو عبدا من دون الله ؟ قال: ما علي من الناس ، الله أعلم بحالهم ، ويظن بباطنه أن ذلك لا يجب عليه" . وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١٧/٦ / من كتاب التوحيد / باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله. : " ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : "من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله" وهذا من أعظم ما يبين معنى "لا إله إلا الله" فإنه لم يجعل التلذُّظ بما عاصمًا للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يُضيفَ إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله . فإن شكَّ أو توقَّف لم يحرم ماله ودمه . فيأله من مسألة ما أعظمها وأجلها ، ويأله من بيان ما أوضَّحه ، وحبَّة ما أقطعها للمنازع"

(٢) - والغالب في هذه العداوة والبغضاء أن تكون متكلفة ، وليست مما قد يوجد طبعاً لسبب يقتضي ذلك ، لأن العداوة والبغضاء مطلوبة شرعاً ضد كل كافر ، ولو كان من أقرب الناس إليك كالوالدين ، والزوجة إذا كانت من أهل الكتاب . وهذا هو الابتلاء الحقيقي الذي يحقق فيه أكثر الناس ، وهو : أن تبغض - البغض الشرعي الواجب لكل كافر أو عاصي - وإن كان الشخص ممن تحب حبا جبليا لقراية أو إحسان ، وأن تحب - الحب الشرعي الواجب لكل مسلم - وإن كان الشخص ممن تبغض بغضا قلبيا - لسبب يقتضي البغضاء في أمر من أمور الدنيا .

(٣) - فالثالث من اعتقاد النفي وهو : "الكفر بما يعبد من دون الله" يتضمن البراءة من ثلاثة أمور : ١- البراءة من كل معبود سوى الله ، فيلزم منه في جانب الإثبات اعتقاد أن المستحق للعبادة هو الله وحده ٢- البراءة من كل عبادة تصرف لغير الله ، فيلزم منها في جانب الإثبات إفراد الله وحده في القصد والطلب بجميع العبادات . ٣- البراءة من كل عابد لغير الله ، فيلزم منها في جانب الإثبات تولي كل مؤمن بالله ورسوله . فالأول في البراءة من المعبود سوى الله ، والثاني في البراءة من العبادة المصروفة لغير الله ، والثالث في البراءة من العابد لغير الله . والله تعالى أعلم.

أما إفراده بالخلق فيكون : باعتقاد أنه لا خالق إلا الله كقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ من الآية ١٦ الرعد ، وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ الآية ١٠٢ ، الأنعام ، وقوله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَدْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ الآية ٣٠ ، فاطر .

أما إفراده بالملك فبأن نعتقد بأنه لا يملك الخلق إلا الله كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُونَ ﴾ من الآية ٨٨ المؤمنون .

وأما إفراده بالتدبير : فبأن نعتقد بأنه لا مدبر إلا الله وحده كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبُّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ الآية ٥٤ الأعراف ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الآية ٣١ يونس

**وجه الاستدلال :** فجميع هذه الآيات وما جاء في معناها ، تتضمن : نفي الخلق والملك والتدبير عن غير الله وإثباتها لله وحده ، وصيغة الاستفهام أوضح في دلالتها النفي والإثبات ، كما في قوله تعالى ( هل من خالق غير الله ؟ ) فالجواب : لا خالق إلا الله فكأنك قلت لا إله إلا الله .

ومن السنة :

(١) ماجاء في صحيح البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم ، فذكر الحديث وفيه " قالوا قد قبلنا يا رسول الله قالوا جئناك نسألك عن هذا الأمر قال **كان الله ولم يكن شيء غيره** وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل

شيء وخلق السماوات والأرض" <sup>١</sup> وفي لفظ للبخاري عنه "كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض وكتب في الذكر كل شيء" <sup>٢</sup>.

(٢) وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في غزوة بني المصطلق أنهم أصابوا سبايا فأرادوا أن يستمتعوا بهن ولا يحملن فسألوا رضي الله عنه عن العزل فقال ما عليكم أن لا تفعلوا فإن الله قد كتب من هو خالق إلى يوم القيامة وفي لفظ "ليست نفس مخلوقة إلا الله خالقها" <sup>٣</sup>.

(٣) وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رضي الله عنه يقول: "قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة" <sup>٤</sup>.

(٤) وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه: قال رضي الله عنه: "لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله" <sup>٥</sup>.

(٥) وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء" <sup>٦</sup>.

(٦) وفي صحيح البخاري عن بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله" <sup>٧</sup>.

**وجه الاستدلال** : فجميع هذه الأحاديث وما جاء في معناها تتضمن نفي الخلق والملك والتدبير عن غير الله وإثباتها لله وحده ، ومعنى لا إله إلا الله جلي ، من حيث النفي والإثبات في مثله قوله صلى الله عليه وسلم : "ليست

١ - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٠٥) برقم: (٣١٩١) (كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في قول الله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده )

٢ - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٢٤) برقم: (٧٤١٨) (كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء )

٣ - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٢١) برقم: (٧٤٠٩) (كتاب التوحيد ، باب قول الله هو الله الخالق البارئ المصور ) بهذا اللفظ ومسلم في "صحيحه" (٤ / ١٥٧) برقم: (١٤٣٨) (كتاب النكاح ، باب حكم العزل ) بنحوه مطولا

٤ - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٦١) برقم: (٧٥٥٩) (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى والله خلقكم وما تعملون ) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٦ / ١٦٢) برقم: (٢١١١) (كتاب اللباس والزينة ، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة ) (بمثله مطولا).

٥ - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٩٦) برقم: (٧٢٩٦) (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب ما يكره من كثرة السؤال ) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٨٥) برقم: (١٣٦) (كتاب الإيمان ، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها ) (بمعناه مطولا).

٦ - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٧٨) برقم: (٢٧١٣) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ) (بهذا اللفظ)

٧ - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ٧٨) برقم: (٤٦٩٧) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام غيض نقص ) (بهذا اللفظ)

نفس مخلوقة إلا الله خالقها" وقوله ﷻ " كان الله ولم يكن شيء غيره" وقوله ﷻ "مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله" ، ففي كل منها نفي لخصيصة من خصائص الربوبية عن غير الله وإثباتها لله وحده وهو داخل في قولك : "لا إله إلا الله" والله تعالى أعلم.

ثانياً : ومن النفي : اعتقاد وجوب تنزيه الله عن كل صفة نقص ، وعن التمثيل أو التشبيه ، وإثبات صفات الكمال المطلق له وحده ، وقد دل عليه الكتاب والسنة  
فمن الكتاب :

(١) قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿ الآية ١٨٠ سورة الأعراف . وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ من الآية ١١

سورة الشورى . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ

كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ سورة الإخلاص . وجه الاستدلال:

ففي جميع تلك الآيات جانبي النفي والإثبات كما في قولك : لا إله إلا الله ، ففي الآية الأولى فجانب الإثبات قوله (فادعوه بها) وجانب النفي (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) ، وفي الثانية فقوله (ليس كمثلته شيء) هذا في جانب النفي ، (وهو السميع البصير) في جانب الإثبات ، وفي الثالثة السورة نصفان ، النصف الأول " قل هو الله أحد الله الصمد) في الإثبات ، والنصف الثاني " لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد" في النفي .

ومن السنة:

- (١) في الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا علونا كبرنا فقال أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا تدعون سميعة بصيرا قريبا<sup>١</sup>
- (٢) وفي البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله يدعون له الولد ثم يعافيههم ويرزقهم"<sup>٢</sup>
- (٣) وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون"<sup>٣</sup> وهذا لفظ مسلم.
- (٤) وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "ذكر الدجال عند النبي ﷺ فقال: "إن الله لا يخفى عليكم ، إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينه وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبه طافية"<sup>٤</sup>.
- (٥) وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر"<sup>٥</sup>
- (٦) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله جميل يحب الجمال"<sup>٦</sup>

**وجه الاستدلال:** جميع هذه الأحاديث ، وما جاء في معناها ، تضمنت نفي صفات النقص عن الله ، وهي متضمنة لإثبات ضدها من صفات الكمال لله وحده ، وهو معنى داخل في قولك لا إله إلا الله . والله تعالى أعلم .

**• ثالثا: ومن النفي: اعتقاد وجوب الكفر بما يعبد من دون الله من الآلهة المزعومة ، وهذا يقتضي اعتقاد ثلاثة أمور:**

- ١ - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥٧ / ٤) برقم: (٢٩٩٢) (كتاب الجهاد والسير ، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير) (بنحوه مختصرا.) ومسلم في "صحيحه" (٧٣ / ٨) برقم: (٢٧٠٤) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب خفض الصوت بالذكر) (بهذا اللفظ)
- ٢ - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢٥ / ٨) برقم: (٦٠٩٩) (كتاب الأدب ، باب الصبر على الأذى) (بهذا اللفظ)
- ٣ - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١١٦ / ٩) برقم: (٧٣٨٣) (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى وهو العزيز الحكيم) (بمثله مختصرا.) ومسلم في "صحيحه" (٨٠ / ٨) برقم: (٢٧١٧) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل) (بهذا اللفظ)
- ٤ - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٦٦ / ٤) برقم: (٣٤٣٩) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١٠٧ / ١) برقم: (١٦٩) (كتاب الإيمان ، باب في ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال) (بنحوه.)
- ٥
- ٦ - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦٥ / ١) برقم: (٩١) (كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه) (بهذا اللفظ)

● الأمر الأول: نفي الألوهية - وهي استحقاق العبادة - عن غير الله ، باعتقاد وجوب البراءة من كل معبود سوى الله واعتقاد بطلانها ، ويلزم منه في جانب الإثبات: وجوب اعتقاد أن المستحق للعبادة كلها هو الله وحده .

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة ، فمن الكتاب:

(١) قوله تعالى: ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ الآية ٦٢ سورة الحج .

(٢) وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٢٧﴾ ﴾ الآيتان ٢٦ ، ٢٧ الزخرف .

(٣) وقوله تعالى: ﴿ أَتَيْتُكُمْ لِتُشْهِدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ من الآية ١٩ سورة الأنعام .

(٤) وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١٦﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿١٧﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

(٥) وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ ﴾ من الآية ٢٥٦ سورة البقرة

(٦) وقوله تعالى: ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ من الآية ١٦ سورة الكهف

وجه الاستدلال : أن معنى لا إله إلا الله ظاهر من حيث النفي والإثبات في تلك الآيات ، ففي الآية الأولى جانب إثبات الألوهية لله وحده في قوله ( ذَلِكْ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ) وجانب نفيها عن غيره في قوله ( وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ) ، وفي الثانية ، جانب النفي في قوله ( إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ) وجانب الإثبات قوله ( إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ) وهكذا في قوله ( فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي ) ( إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ) ، وكذا في بقية الآيات ، وهذا كله داخل في معنى قولك: ( لا إله إلا الله ) والله تعالى أعلم .

ومن السنة :

(١) ما جاء في صحيح البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه قصة أبي طالب وفيه : "يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل النبي ﷺ يعرضها عليه ، ويعودان بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب وأبي أن يقول لا إله إلا الله " (١)

وجه الاستدلال : فقد علم هذا الكافر وأبو جهل أنه لو قالها للزم منه اعتقاد بطلان ملة عبد المطلب والبراءة منها ، ولكنه أبقى .

(٢) قوله ﷺ كما في صحيح مسلم عن أبي مالك الأشجعي رضي الله عنه أن ﷺ قال « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله » (٢)

وجه الاستدلال : قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : "من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله" وهذا من أعظم ما يبين معنى "لا إله إلا الله" فإنه لم يجعل التلُّفُظَ بها عاصِماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرارَ بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يَحْرُمُ ماله ودمه حتى يُضَيَّفَ إلى ذلك الكُفْرَ بما يُعْبَدُ من دون الله . فإن شكَّ أو توقَّفَ لم يَحْرُمُ ماله ودمه . فيالها من مسألةٍ ما أعظمها وأجلها ، وبإله من بيانٍ ما أوضَحَهُ ، وحقَّةٍ ما أقطعها للمنازع" (٣) .

(٣) وفيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال "بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان" وفي لفظ لمسلم "أن يعبد الله ويكفر بما دونه" (٤) وفي لفظ لمسلم "على أن يوحد الله" (٥)

وجه الاستدلال : واضح مما تقدم فلا يكفي جانب الإثبات في إثبات الإلوهية لله وحده ، بل لابد من البراءة من جميع الآلهة التي تعبد من دون الله وهو جانب النفي . والله تعالى أعلم .

الأمر الثاني: البراءة من كل عبادة تصرف لغير الله ، باعتقاد بطلانها ، فيلزم منه في جانب الإثبات : إفراد الله وحده في القصد والطلب بجميع العبادات الظاهرة والباطنة . وقد دل على ذلك الكتاب والسنة

(١) - سبق تحريجه

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣٩ / ١) برقم: (٢٣) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله) (بهذا اللفظ)

(٣) - انظر مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١٧/٦ / من كتاب التوحيد / باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله .

(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣٤ / ١) برقم: (١٦) (كتاب الإيمان ، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بني الإسلام على خمس (بهذا اللفظ)

(٥) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣٤ / ١) برقم: (١٦) (كتاب الإيمان ، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بني الإسلام على خمس) (بهذا اللفظ)

فمن الكتاب: "قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء: ٢٥] فبين في هذه الآية، وأمثالها، كقوله: ﴿أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ [المؤمنون: ٣٢] أن الإلهية، هي العبادة؛ فإن: الإله، هو المألوه، الذي تأله القلوب، محبة، وتعظيماً، وتذلاً، وخضوعاً، وتوكلاً، ورغبة إليه، ورهبة، وخوفاً، ورجاءً، وغير ذلك من أنواع العبادة. وقوله تعالى: ﴿ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير﴾ [هود: ١-٢] فقوله: (ألا تعبدوا) فيه معنى: لا إله، وقوله: (إلا الله) هو المستثنى في هذه الكلمة العظيمة؛ وفي هذه الآيات: نفي الإلهية عما سوى الله، نفيًا عاماً، بلا النافية للجنس، وأثبت الإلهية له وحده، دون كل ما سواه. ٣- والآيات في معنى هذه الكلمة: كثيرة في القرآن؛ قال تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ [الإسراء: ٢٣] فقوله: (ألا تعبدوا) نفي استحقاق العبادة لغيره، وأثبتها لنفسه بقوله: (إلا إياه) ٤- وقال تعالى: ﴿أمر أن لا تعبدوا إلا إياه﴾ [يوسف: ٤٠] ٥- وأمر نبيه ﷺ أن يدعو أهل الكتاب، إلى معنى هذه الكلمة، وما تضمنته: من النفي، والإثبات، في قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله﴾ [آل عمران: ٦٤] والكلمة، هي: لا إله إلا الله؛ بالإجماع، ففسرها بقوله: (سواء بيننا وبينكم) أي نكون فيها سواء، علماء، وعملاً، وقبولاً، وانقياداً، فقال: (ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً) فنفي ما نفتته: لا إله إلا الله، بقوله: (ألا نعبد) وأثبت ما أثبتته: لا إله إلا الله، بقوله: (إلا الله) " (١)

ومثل ذلك ماجاء في قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾

[الأنبياء: ٢٥] ، وقوله تعالى: ﴿اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ وقوله تعالى: ﴿إياك نعبد ، وإياك نستعين﴾

وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فَاَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ من الآيتين ١٤ ، ١٥ الزمر

**وجه الاستدلال:** فجميع هذه الآيات تقتضي أفراد الله وحده بجميع أنواع العبادة دون غيره ، وهو داخل في داخل في معنى قولك ( لا إله إلا الله ) والله تعالى أعلم .  
ومن السنة:

(١) ماجاء في الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "هل تدري ما حق الله على عباده؟" . قلت الله ورسوله أعلم . قال " حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً" . ثم

(١) - نقلته عن ابن القيم-رحمه الله- فيما أظن ، ولكنني نسيت المرجع .

سار ساعة ثم قال ( يا معاذ بن جبل ) . قلت لبيك رسول الله وسعديك قال: " هل تدري ما حق العباد

على الله إذا فعلوه " . قلت الله ورسوله أعلم قال ( حق العباد على الله أن لا يعذبهم " (١)

(٢) وفي الصحيحين عن بن عباس رضي الله عنهما أن ﷺ لما بعث معاذاً رضي الله عنه على اليمن قال: " إنك تقدم

على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم

خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم

فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس " (٢) - وفي لفظ آخر للبخاري " فليكن أول ما

تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك " (٣) - وفي لفظ في الصحيحين " فقال ادعهم

إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم " (٤)

(٣) وفي صحيح البخاري عن بن عباس رضي الله عنهما في قصة هرقل وفيه " قال ماذا يأمركم قلت يقول

اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ... وسألتك بماذا يأمركم فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا

به شيئاً وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم" (٥)

(٤) وفي صحيح البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه قصة أبي طالب وفيه: "يا عم قل لا إله إلا الله كلمة

أشهد لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟

فلم يزل رضي الله عنه يعرضها عليه ، ويعودان بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة

عبد المطلب ، وأبي أن يقول لا إله إلا الله " (٦)

(٥) وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان رضي الله عنه بارزاً يوماً للناس فأتاه جبريل فقال ما الإيمان

قال أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسوله وتؤمن بالبعث قال ما الإسلام قال الإسلام أن تعبد الله ولا

تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان" (٧)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٢٩) برقم: (٢٨٥٦) (كتاب الجهاد والسير ، باب اسم الفرس والحمار) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١)

(٤٣ / برقم: (٣٠) (كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار) (بمثله).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١١٩) برقم: (١٤٥٨) (كتاب الزكاة ، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في

"صحيحه" (١ / ٣٨) برقم: (١٩) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه) (بمثله).

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١١٤) برقم: (٧٣٧٢) (كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٠٤) برقم: (١٣٩٥) (كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٧) برقم: (١٩)

كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه)

(٥)

(٦) - سبق تخريجه

(٧) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٩) برقم: (٥٠) (كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام) (بهذا اللفظ)

، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٠) برقم: (٩) (كتاب الإيمان ، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله) (بمثله مطولاً).

(٦) وفي صحيح البخاري عن أبي أيوب رضي الله عنه: " أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني بعمل يدخلني الجنة قال ماله ماله وقال صلى الله عليه وسلم أرب ماله ، تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم" (١)

(٧) وفي صحيح مسلم عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه وفيه " فقلت وبأي شيء أرسلك قال أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء" (٢)

**وجه الاستدلال** : جميع هذه الأحاديث اقتضت إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادة دون غيره كما قوله صلى الله عليه وسلم ( أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ) وقوله ( وأن يوحد الله لا يشرك به شيء ) وعم الرسول صلى الله عليه وسلم قد وجد عند الإثبات دون النفي فلم ينفعه ذلك ، وكل ذلك داخل في معنى قولك ( لا إله إلا الله ) والله تعالى أعلم.

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٠٤) برقم: (١٣٩٦) (كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٢) برقم: (١٣) (كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة) (بنحوه مطولا).  
 (٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ٢٠٨) برقم: (٨٣٢) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب إسلام عمرو بن عبسة) (بهذا اللفظ)

● الأمر الثالث: البراءة من من أهل الشرك باعتقاد كفرهم وبطلان ملتهم ، ووجوب بغضهم وعداوتهم ، فيلزم منه في جانب الإثبات: اعتقاد وجوب تولي ملة التوحيد وأهلها ، بنصرتهم ومحبتهم ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة: (١) .

### ● فمن الكتاب :

(١) جميع الآيات المتقدمة في الأمر الأول ، فإن البراءة من المعبود تتضمن البراءة من العابد لغير الله.

(٢) قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا

تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴾ من

الآية ٤ سورة الممتحنة .

(٣) - وقوله تعالى: ﴿ وَأَعْتَرِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ الآية

٤٨ سورة مريم .

(٧) وقول فتية الكهف كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ من الآية ١٦ سورة

### الكهف

وجه الاستدلال : فجميع هذه الآيات تضمنت وجوب البراءة من كل عابد لغير الله وهو جانب النفي ، وأثبتت التولي الكامل لله وحده : ففي الآية الأولى: جانب النفي يتمثل في قوله تعالى: ( إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا ) وجانب الإثبات ( حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ) . والآية الثانية جانب النفي في قوله ( وَأَعْتَرِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) وجانب الإثبات في قوله ( وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى ) . وفي الثالثة جانب النفي في قوله ( وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ ) وجانب الإثبات في قوله ( إِلَّا اللَّهَ ) ، ففي تلك الآيات الثلاث براءة من العابد والمعبود معا ، وإثباتها لله وحده ولمن والاه . ، وكل ذلك داخل في معنى قولك: ( لا إله إلا الله ) والله تعالى أعلم.

أما أدلة السنة فمن ذلك :

(١) - قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: "أصل دين الإسلام، وقاعدته أمران:

- الأول: ١- الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، ٢- والتحرير على ذلك، ٣- والموالاتة فيه، ٤- وتكفير من تركه .
- الثاني: ١- الإنذار عن الشرك في عبادة الله ٢- والتعليق في ذلك ٣- والمعاداة فيه ٤- وتكفير من فعله .

(١) حديث أبي طالب المتقدم وفيه دليل على وجوب البراءة من ملة عبد المطلب .  
 (٢) حديث أبي مالك الأشجعي المتقدم "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله « فعمومه يشمل الكفر بالعباد والمعبود .

(٣) ويدخل في ذلك البراءة من كل دين سوى الإسلام وقد دل على ذلك آيات كثيرة منها : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ

الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ الآية ٨٥ سورة آل عمران . وقوله تعالى : ﴿

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ

بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآياتان ٦٧، ٦٨ من سورة آل

عمران . وقوله تعالى ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ . وقوله تعالى :

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الآية ١٢٣ من سورة النحل .

(٤) وفي معنى تلك الآيات قوله ﷺ كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا

يَسْمَعُ بِي أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ

النَّارِ » . (١)

• وفي جانب الإثبات وجوب تولى الله ورسوله والمؤمنين ، ويدل على ذلك آيات منها :

(١) ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ الآية ٥٥

من سورة المائدة .

(٢) وقوله تعالى ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي

شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ الآية ٢٨ ، سورة آل عمران .

(٣) وقوله سبحانه : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا

ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ من الآية ٢٢ من سورة المجادلة

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٩٣) برقم: (١٥٣) (كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته )

- فهذه خمس معان تضمنها ركن النفي من حيث التفصيل ، وهي ثلاثة عند الإجمال . والله تعالى أعلم .

## المسألة الثالثة: أدلة الركن الثالث: الإثبات

وهو أن تثبت جميع مانفيته في ركن النفي ، فاعتقاد ما جاء في النفي ، يلزم منه اعتقاد ما جاء في الإثبات ، من الأمور الثلاثة إجمالاً ، أو الخمسة تفصيلاً ، فتجعلها لله وحده فيتضمن ذلك اعتقاد خمسة أمور :

١. إثبات الربوبية لله وحده باعتقاد أنه وحده الخالق والمالك والمدبر.
  ٢. إثبات الكمال المطلق لله وحده في ذاته وأسمائه وصفاته.
  ٣. إثبات الألوهية لله وحده باعتقاد أنه الإله المستحق لجميع أنواع العبادة .
  ٤. إفراد الله وحده في القصد والطلب بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة .
  ٥. إثبات الولاية لله ولرسوله والمؤمنين ، ونصرتهم بتولي التوحيد وأهله .
- وأدلة ركن الإثبات هي أدلة ركن النفي سواء بسواء ، وما يخص الإثبات وحده تقدم ذكره معها.

والله تعالى أعلم .

## المسألة الرابعة: أدلة الركن الرابع: الخامسة

ويتضمن هذا الركن وجوب اعتقاد أربعة أمور:

- الأول : اعتقاد أن محمدا هو رسول الله حقا ، واعتقاد صدقه بكل ما أخبر ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة فمن الكتاب:

(١) قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَنِيزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الحاقة الآيات ٤٤-٤٧ .

(٢) وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٤﴾ ﴾ .

(٣) وقال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ الآية ٩١ سورة الأنعام .

(٤) وكذلك قوله: ﴿ قُلْ أَىٰ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ من الآية ١٩ سورة الأنعام

(٥) وكذلك قوله تعالى: ﴿ لَيْكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ الآية ١٦٦ سورة النساء

### ومن السنة :

(١) ماجاء في صحيح البخاري عن بن عباس رضي الله عنهما كما في قصة هرقل "وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله " (١)

(٢) وفي الصحيحين عن بن عباس رضي الله عنهما وفيه : "فقال: أرايتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل ، أكنتم مصدقي ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد" (٢)

(٣) وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود ؓ قال انطلق سعد بن معاذ معتمرا قال فنزل على أمية بن خلف أبي صفوان وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد فقال أمية لسعد انتظر حتى إذا

(١) - سبق تخريجه

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ١٧٩) برقم: (٤٩٧١) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب) (بهذا اللفظ) ، ومسلم

في "صحيحه" (١ / ١٣٤) برقم: (٢٠٨) (كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى وأنذر عشيرتک الأقربين) (بمثله مطولا).

انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت فبينما سعد يطوف إذا أبو جهل فقال من هذا الذي يطوف بالكعبة فقال سعد أنا سعد فقال أبو جهل تطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمدا وأصحابه فقال نعم فتلاحيا بينهما فقال أمية لسعد لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي ثم قال سعد والله لئن منعنتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام قال فجعل أمية يقول لسعد لا ترفع صوتك وجعل يمسكه فغضب سعد فقال دعنا عنك فإني سمعت محمدا صلى الله عليه وسلم يزعم أنه قاتلك قال إياي قال نعم قال والله ما يكذب محمد إذا حدث فرجع إلى امرأته فقال أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي قالت وما قال قال زعم أنه سمع محمدا يزعم أنه قاتلي قالت فوالله ما يكذب محمد قال فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ قالت له امرأته أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي قال فأراد أن لا يخرج فقال له أبو جهل إنك من أشراف الوادي فسر يوما أو يومين فسار معهم فقتله الله" (١) .

**وجه الاستدلال:** جميع الآيات والأحاديث المتقدمة تدل على أنه رسول الله حقا ، وتدل على صدقه ، ولذا درج الصحابة رضي الله تعالى عنهم بوصفه الصادق ومن ذلك : ما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت الصادق المصدوق " (٢) . وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رضي الله عنه وهو الصادق المصدوق " (٣)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٢٠٥) برقم: (٣٦٣٢) (كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام) (بهذا اللفظ)  
(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٩٩) برقم: (٣٦٠٥) (كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٨٦) برقم: (٢٩١٧) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت) (بمعناه).  
(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١١١) برقم: (٣٢٠٨) (كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٤) برقم: (٢٦٤٣) (كتاب القدر ، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) (بنحوه).

- الثاني : اعتقاد وجوب الطاعة لرسول الله ﷺ بامتثال أمره واجتناب نهيهِ وقد دل على وجوب ذلك الكتاب والسنة: فمن الكتاب:

(١) قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ الآية ٣٢ سورة آل عمران  
 (٢) وقوله تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ الآية ٨٠ سورة المائدة.

(٣) وقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ الآية ٧ سورة الحشر.

وجه الاستدلال : في غاية الوضوح فقد ارتبطت طاعة الله بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم كارتباط الأركان ببعضها، والماهية لا تقوم بدون جزئها.

### ومن السنة:

- (١) في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن ﷺ قال: " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا يا رسول الله ومن أبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى " (١)
- (٢) وفي البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: " جاءت ملائكة النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم أن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا إن لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقال بعضهم إنهم نائمون وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا إن مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مائدة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المائدة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المائدة فقالوا أولوها له يفقهها فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ فمن أطاع محمدا ﷺ فقد أطاع الله ومن عصى محمدا ﷺ فقد عصى الله ومحمد ﷺ فرق بين الناس " (٢)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٩٢) برقم: (٧٢٨٠) (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم )  
 (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٩٣) برقم: (٧٢٨١) (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم )  
 (بهذا اللفظ)

(٣) وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن صلى الله عليه وسلم قال : "دعوني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم" وفي لفظ لمسلم "ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه" (١)

وجه الاستدلال: أن جميع الآيات والأحاديث المتقدمة تدل على وجوب طاعته بامتثال أمره واجتناب نهييه.

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩٤ / ٩) برقم: (٧٢٨٨) (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (١٠٢ / ٤) برقم: (١٣٣٧) (كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر) (بنحوه مطولاً).

● الثالث: اعتقاد وجوب محبته وتوقيره

ويدل على ذلك عموم ما تقدم ، ومن السنة :

(١) فيهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحب إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار" (١)

(٢) وفيهما عن أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" ولفظ مسلم " حتى يكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين" (٢)

(٣) وفي مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة قال وما أعددت للساعة قال حب الله ورسوله قال فإنك مع من أحببت قال أنس فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم فإنك مع من أحببت قال أنس فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم" (٣)

(٤) وفي البخاري عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال له عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر" (٤)

وجه الاستدلال: أن تلك النصوص تدل على وجوب محبته وتقديمه على جميع المحاب الدنيوية من المال والأهل والولد .

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٢) برقم: (١٦) (كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٨) برقم: (٤٣) (كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان) (بمثله).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٢) برقم: (١٥) (كتاب الإيمان ، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٩) برقم: (٤٤) (كتاب الإيمان ، باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين) (بمثله).

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥ / ١٢) برقم: (٣٦٨٨) (كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٢) برقم: (٢٦٣٩) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب المرء مع من أحب) (بنحوه مختصراً).

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٢٩) برقم: (٦٦٣٢) (كتاب الأيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين النبي) (بهذا اللفظ)

● الرابع : اعتقاد وجوب الاقتداء به في كل عبادة ، فلا يعبد الله إلا بما شرع ، ودل على ذلك الكتاب والسنة ، فمن الكتاب :

(١) قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَثِيرًا ﴾ الآية ٢١ سورة الأحزاب .

(٢) وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ

يَعْصِ اللَّهَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ الآية ٣٦ سورة النساء

(٣) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الآية ٥١ سورة النور

(٤) قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا

قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ الآية ٦٥ سورة النساء

(٥) وقوله تعالى : ﴿ لَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣١)

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ الآيتان ٣١ ، ٣٢ سورة آل عمران.

ومن السنة:

(١) ما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن ﷺ قال: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" (١)

(٢) وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن ﷺ قال: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" (٢)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ٦٩) برقم: (٢١٤٢) (كتاب البيوع ، باب النجش) (بهذا اللفظ معلقا تعليقا مجزوما به) ، ومسلم في "صحيحه"

(٥ / ١٣٢) برقم: (١٧١٨) (كتاب الأفضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور بلفظه.

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ١٨٤) برقم: (٢٦٩٧) (كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود) (بهذا اللفظ) ومسلم

في "صحيحه" (٥ / ١٣٢) برقم: (١٧١٨) (كتاب الأفضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور) (بمتله).

(٣) وكان النبي ﷺ يقول في خطبة الجمعة كما في مسلم عن جابر رضي: " وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة " (١) وفي لفظ " وكل ضلالة في النار " (٢)

(٤) في مسلم عن جابر رضي أن صلى قال: " لتأخذوا مناسككم " (٣)

(٥) وفي البخاري عن مالك بن الحويرث رضي أن النبي صلى قال: " صلوا كما رأيتُموني أصلي " (٤)

(٦) وفي الصحيحين عن أنس رضي أن النبي صلى قال: " من رغب عن سنتي فليس مني " (٥)

(٧) وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فرخص فيه ، فتنزهه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ، ثم قال: ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية. " (٦)

**وجه الاستدلال:** أن جميع الآيات والأحاديث المتقدمة تدل على وجوب الاقتداء به في أقواله وأفعاله وتقريراته ، وأن عبادة الله لا تصح إلا على وفق سنته ، وأن من عمل على خلاف سنته فعمله مردود عليه . والله تعالى أعلم .

- 
- (١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣ / ١١) برقم: (٨٦٧) (كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ) (بهذا اللفظ)
- (٢) - أخرجه ابن الجارود في "المنتقى" (١ / ١١٨) برقم: (٣٢٦) (باب الجمعة ، ) ، وابن خزيمة في "صحيحه" (٣ / ٢٦٣) برقم: (١٧٨٥) (كتاب الجمعة ، باب صفة خطبة النبي وبدؤه فيها بحمد الله والثناء عليه ) (بهذا اللفظ) وابن حبان في "صحيحه" (١ / ١٨٦) برقم: (١٠)
- (٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤ / ٣٥) برقم: (١٢١٣) (كتاب الحج ، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران ) (بلفظه.)
- (٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٢٨) برقم: (٦٣١) (كتاب الأذان ، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة وكذلك بعرفة وجمع ) (بهذا اللفظ)
- (٥) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ٢) برقم: (٥٠٦٣) (كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٤ / ١٢٩) برقم: (١٤٠١) (كتاب النكاح ، )
- (٦) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٢٦) برقم: (٦١٠١) (كتاب الأدب ، باب من لم يواجه الناس بالعتاب ) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٧ / ٩٠) برقم: (٢٣٥٦) (كتاب الفضائل ، باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله تعالى وشدة خشيته ) (معناه.)

## المقدمة الثالثة في بيان شروط التوحيد وتبعا ثمان مسائل :

**المسألة الأولى :** للتوحيد ثمانية شروط دل عليها الاستقراء وهي : العلم ، والمحبة ، والقبول ، واليقين ، والصدق ، والإخلاص ، والانقياد ، والعمل بالجوارح .

### المسألة الثانية : الشروط للشهادتين معا

من المهم التنبيه على أن كل شرط من هذه الشروط لازم للشهادتين معا ، وقد درج العلماء على الاكتفاء بذكرها كشروط للإله إلا الله فقط ، دون كونها شروطا -أيضا- للشهادة بأن محمدا رسول الله ؛ لأن ذلك عندهم هو تحصيل حاصل ، من جهة أن الشهادة بأنه لا إله إلا الله تتضمن الجزء الثاني المتمثل في الشهادة لمحمد ﷺ أنه رسول الله.

ولكن التنصيص على كون هذه الشروط شروطا للشهادتين معا - وذكر الأدلة الدالة على ذلك - أولى ؛ لدفع التوهم بأن هذه الشروط مختصة بالجزء الأول من ركن الشهادتين فحسب ، ومن المعلوم أن الأحاديث التي جاء فيها الوعد بدخول الجنة بقول أحدهما دون الأخرى شاملة لهما معا ؛ لأن إحدى الشهادتين تعم الأخرى عند الانفراد ، وعند الاجتماع لكل منهما معنى كالإسلام والإيمان ، فشهادة لا إله إلا الله -إذا انفردت- ، تتضمن الشهادة بأن محمدا رسول الله ، وشهادة أن محمدا رسول الله -إذا انفردت- تتضمن الشهادة بأنه لا إله إلا الله . والله تعالى أعلم .

### المسألة الثالثة : الترتيب الموضوعي للشروط ( وهو محل نظر واجتهاد )

- ١ . العلم
- ٢ . قبول (الرضا)
- ٣ . المحبة
- ٤ . اليقين
- ٥ . الصدق
- ٦ . الإخلاص
- ٧ . انقياد (عزم)

٨. العمل بموجب هذه الشروط .

بعد تأمل وجدت بأن الترتيب الأمثل يبدأ بالعلم فإذا وجد العلم حصل القبول ، فإذا تحققت المحبة تحقق اليقين ، فيقولها صادقا ، ويخلص فيها لله ، فيترتب على ذلك الانقياد لمقتضاها ثم العمل بموجبها ، وقد يقال غير ذلك والله تعالى أعلم.

### مسألة الرابعة: الحد الأعلى والحد الأدنى لكل شرط

كل شرط من هذه الشروط ليس له حد أعلى، فليس هناك حد أعلى للعلم، ولا للصدق، ولا للإخلاص، وكذلك بقية الشروط كما سيأتي توضيح ذلك في كل شرط. والمعنى: أن الناس يتفاوتون في مقدار العلم، والإخلاص، والصدق، واليقين، والعمل، وهذا التفاوت هو في تحقيق تلك الشروط، فبقدر ما وجد عندهم من العلم واليقين والصدق.. بقدر ما يوجد التفاوت بينهم، وإذا كان الأنبياء في حاجة إلى أن يزدادوا علما وصدقا و يقينا وإخلاصا، فكيف بغيرهم؟ فقد قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ من الآية ١٩ سورة محمد، وقد نزلت بعد الهجرة، فالعلم بهذه الكلمة لا يتناهى، ، واليقين يزيد بلا نهاية، والصدق يزيد، والإخلاص يزيد، وهكذا بقية الشروط.

وهذا أشبه بقولهم الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فالزيادة في الإيمان ليس لها حدود. وكذلك معاني تلك الشروط فالزيادة فيها بلا حدود.

ولكن كل شرط من تلك الشروط له حد أدنى وهو الضروري منه. فأدنى العلم هو الذي يمنع من الوقوع في ناقض من نواقض الإسلام. وأدنى الصدق، أن يكون صادقا في قول الشهادتين، وأدنى الإخلاص أن لا يقع في الشرك الأكبر، وأدنى اليقين، أن لا يقع عنده شك في شيء من أركان الإيمان، وأدنى العمل بالجوارح أن لا يقع في ترك جنس العمل ، أو ترك ما يترتب على تركه الكفر كترك الصلاة على قول من قال به ، وهكذا بقية الشروط. فلا بد أن يوجد الحد الأدنى من كل شرط من هذه الشروط عند كل مسلم، فإذا لم يوجد الحد الأدنى من كل شرط فقد الإسلام. والله تعالى أعلم .

## السؤال الخامس : لا تصح العقيدة ولا العمل إلا بصحة الشروط :

هذه الشروط شرط لصحة الاعتقاد والعمل، فكيف يوجد الاعتقاد الصحيح مع الجهل به ؟ أو مع بغض شيء من أوامر الله ؟ أو رد شيء منها ؟ وكيف يصح العمل مع فقد شرط واحد من شروطها ؟ فإذا لم يعلم الحد الأدنى من كل شرط، أو لم يقبل شيئاً منها، أو عدم الصدق، أو عدم الإخلاص، أو عدم اليقين في عمل من الأعمال ؛ فكيف يمكن أن يكون صحيحاً ؟

## السؤال السادس : تعلق الشروط

لا بد أن تتنبه بأن هذه الشروط تتعلق ب: ١- نفس الكلمة ٢- وبما تقتضيه من عمل. فقد تتوفر هذه الشروط من العلم، والصدق، واليقين والإخلاص، والمحبة والقبول والانقياد عند قول الشهادتين فيصح الإسلام، فإذا طبق حقوق الشهادتين فلا يخلوا: إذا أتى بناقض من نواقض الإسلام فهذا راجع لفقد الحد الأدنى لشرط من هذه الشروط، وإن أتى بمعصية دون الكفر فالأن تحقيق هذه الشروط عنده كان تحقيقاً ناقصاً.

## السؤال السابع: فقدان شرط من الشروط يبطل بقيتها

جميع هذه الشروط مترابطة، فإذا ما فقد واحد منها ترتب عليه إبطال جميع الشروط ، ولو وجد بعضها. فلا بد منها جميعاً لتحقيق الأركان، فلو أوجد جميع الشروط، وفقد شرط العلم فكأنما فقدتها جميعاً. ويلزم من فقدان الصدق فقدان بقية الشروط ، وقد يصدق، ولكنه لا يخلص لله ، وقد يصدق، ويخلص ولكنه لا يوقن، وقد يوجد الإخلاص والصدق، لكن ذلك في تصوره بسبب جهله وفقده لشرط العلم، وقد يوجد التصديق القلبي واليقين، ولكنه لا يقبل به كما في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ الآية ١٤ النمل، وقوله تعالى: ﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ الآية ٣٣ الأنعام.

والمقصود بفقدان الشرط، هو فقدان الحد الأدنى منه، وهو الحد الذي يكون فقده ناقصاً من نواقض الإسلام ، فمن فقد الحد الأدنى من أي شرط ، فكأنما فقد بقية الشروط. والله تعالى أعلم.

## السؤال الثامنة : أركان الشهادتين وشروطهما مرتبطة بالاعتقاد القلبي

وقد تقدمت الإشارة لذلك ، وسيأتي مزيد بيان في المقدمة الخامسة عند الحديث عن شرط العمل بالجوارح . والمقصود أن أركان الشهادتين وجميع الشروط المتقدمة-باستثناء شرط العمل المتعلق بعمل الجوارح- ارتباطها بالاعتقاد كارتباط الروح بالجسد ، فشرط العلم على سبيل المثال: يتضمن أمرين: (المعرفة الحسية، سمع، بصر) ، والمعرفة القلبية التي يلزم منها العمل بموجب تلك المعرفة الحسية ، فالعلم المقصود في هذا الشرط هو: عمل القلب إذا استجاب للمعرفة النظرية (الحسية) المتمثلة في السمع والبصر . والقبول ليس هو القبول الظاهر، بل هو قبول القلب وهو متضمن للرضا، والانقياد ليس هو الانقياد الظاهر، بل هو انقياد القلب، وهكذا بقية الشروط. ( فالقبول، والانقياد، والصدق، واليقين، والمحبة)، إما مجرد دعوى نظرية كاذبة، وإما عمل قلبي يستجيب للأصول التي لا بد منها ، وهو الحد الأدنى من كل شرط، ويجاهد نفسه على ما زاد عن الحد الأدنى.

والحد الأدنى متعلق بعمل القلب \_وهو الاعتقاد- العلم القلبي والصدق القلبي، واليقين القلبي، والإخلاص القلبي وهكذا بقية الشروط. والله تعالى أعلم.

## المقدمة الرابعة في بيان أدلة شروط التوحيد وتبعا سبع مسائل

### المسألة الأولى : أدلة شرط العلم

وقد دل عليه الكتاب والسنة : فمن الكتاب :

(١) قوله تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ من الآية ١٩ سورة محمد

وجه الاستدلال : قال الإمام البخاري رحمه الله : "باب العلم قبل القول والعمل" ، واستشهد بهذه الآية الكريمة. قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله في فتح الباري : [١/١٩٣] قوله : ( باب العلم قبل القول والعمل ) قال ابن المنير : أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل ، فلا يعتبران إلا به ، فهو متقدم عليهما ؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل ، فنبه المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم : " إن العلم لا ينفع إلا بالعمل " تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه . قوله : ( فبدأ بالعلم ) أي : حيث قال : { فاعلم أنه لا إله إلا الله } ثم قال { واستغفر لذنبك } والخطاب وإن كان للنبي - صلى الله عليه وسلم - فهو متناول لأُمَّته " أهـ .

- وفيه دليل على أن المعرفة المجردة ليست علما .
- وفيه أيضا دليل على أن العلم بهذه الكلمة العظيمة لاحد له ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بأن يعلم بهذه الكلمة ، والمعنى أن يزداد علما بها ، وقد جاء في البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : " إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا " (١) وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أعلم الناس بالله ، في حاجة إلى أن يزداد علما بذلك ، فغيره من باب أولى . والله تعالى أعلم .

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٣) برقم: (٢٠) (كتاب الإيمان ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم بالله ) (هذا اللفظ)

(٢) وقوله تعالى ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الآية ٨٦ سورة الزخرف ، أي بلا إله إلا الله وهم يعلمون بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم .  
 قال بن كثير -رحمه الله- في تفسيره (٧/ ٢٢٣) : "إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ. أَي لَكِنْ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ عَلَى بَصِيرَةٍ وَعِلْمٍ، فَإِنَّهُ تَنَفَّعَ شَفَاعَتُهُ عِنْدَهُ بِإِذْنِهِ لَهُ". وقال شيخ الإسلام -رحمه الله في الرد على الإخنائي (ص: ٣٥٠) عن الآية : " فيه قولان: أحدهما أنه استثناء منقطع ، أي لكن من شهد بالحق تنفعه الشفاعة وتنفع شفاعته كقوله ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ [سورة الأنبياء: (٢٣)]."

(٣) وقال ﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾ [سورة الزمر: (٤٤)]

(٤) وقوله تعالى : ﴿هُدَى اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾  
 أما أدلة هذا الشرط من السنة فمنها :

- (١) في صحيح مسلم : عن عثمان رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ : " من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة " (١)
- (٢) وفيهما عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " العبد إذا وضع في قبره وتولي وذبح أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال ﷺ فيراهما جميعا وأما الكافر أو المنافق فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين " (٢)

وجه الاستدلال : قال الحافظ بن حجر -رحمه الله تعالى- في الفتح [٢٨٤/٣] : "وفيه ذم التقليد في

الاعتقادات ، لمعاقبة من قال كنت أسمع الناس يقولون شيئا فقلته"

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٤١) برقم: (٢٦) (كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرّم على النار ) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٩٠) برقم: (١٣٣٨) (كتاب الجنائز ، باب الميت يسمع خفق النعال ) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٦١) برقم: (٢٨٧٠) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ) (بنحوه مختصرا.)

## ولتحقيق شرط العلم قسمان :

القسم الأول: العلم الضروري وهو: الحد الأدنى من العلم الذي لا بد أن يوجد عند كل مسلم: بأن يعلم معنى الشهادتين وما تضمنته كل منهما من المعاني والعقائد ، وأن إحداها لا تقوم إلا بالأخرى ؛ فهذا علم ضروري لا بد منه لكل مسلم، فإن قالهما جاهلا بهما ، وكان الجهل سببا في فعل ما ينقضهما ، أو قالهما عالما بمقتضياتهما، ثم أتى بما ينقضهما لم تنفعاه. فالمخالفة في هذا القسم تنافي الإيمان كله ، فهو الحد الأدنى من العلم.

القسم الثاني : علم تكميلي للقسم الأول وتحقيقه يدل على كمال الإيمان ، ومخالفته تنافي كمال الإيمان الواجب ، فتكون المخالفة في هذا القسم من قبيل المنافة الجزئية لهذا الشرط: وذلك ، بأن يعلم تفاصيل حقوق الشهادتين ، وأن يعلم جميع ما أمر به وما نهى عنه فيما يتعلق بحقوقهما ، وأن لا يعمل بخلاف علمه كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ فَلَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ الآية ١٣٥ سورة آل عمران . وهذا القسم يتفاوت فيه الناس ويختلفون فيه بحسب علم الشخص . والعلم من حيث هو علم لحد له كما قال تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ الآية ١٠٩ سورة الكهف (١٠٩) ، وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الآية ٢٧ سورة لقمان ومعرفة تفاصيل ذلك كله غير ممكنة حتى للأنبياء ( ففي البخاري في قصة الخضر وفيه : " وَوَقَعَ عُصْفُورٌ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ، فَغَمَسَ مِنْقَارُهُ الْبَحْرَ ، فَقَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى : مَا عَلِمَكَ وَعِلْمِي وَعِلْمُ الْخَلَائِقِ فِي عِلْمِ اللَّهِ ، إِلَّا مِقْدَارٌ مَا غَمَسَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْقَارَهُ " (١) ) فالتحقيق التام لشرط العلم يكون بمحاولة الوصول إلى ما يمكن الوصول إليه من كمال العلم بهذين القسمين ، وهو درجات ليس لها حد ، والعلم الناقص من قصر في القسم الثاني إذا أوقعه الجهل في مخالفة شرعية بترك واجب أو فعل محرم ، أما التقصير في القسم الأول فهو فقدان لهذا الشرط بالكلية .

(١) - أخرج البخاري في "صحيحه (٦ / ٨٩) برقم: (٤٧٢٦) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرية مذهبا يسرب يسلك ومنه وسارب بالهار ) (بهذا اللفظ)

و درجات العلم كثيرة جدا ، وليس لتمامه حد ، ولكن الكمال في العلم هو : الذي يمنع من الوقوع في المخالفات الشرعية ، بفعل الواجب وترك المحرم ، وأكمل منه من فعل الواجب والمندوب ، وترك المحرم والمكروه ، وهو درجات ، كما قال : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ الآية ٣٢ سورة فاطر ، وأكثرنا ظالم لنفسه ، وأقلنا المقتصد ، وأندر منه السابق بالخيرات والله تعالى أعلم .

## المسألة الثانية : أدلة شرط القبول

ودل على ذلك الكتاب والسنة : فمن الكتاب :

- (١) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ الآية ٥٣ سورة القصص
- (٢) وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ الآية ٨٣ سورة المائدة

وجه الاستدلال: في هاتين الآيتين وما جاء في معناهما معنى القبول لفظا ومعنى . والتوحيد هو لب رسالة الرسل وما أنزل في الكتب . ومن الناس من لم يقبل بذلك ، أو قبل بعضا دون بعض كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ الآيتان ٣٥ ، ٣٦ سورة الصافات . وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ الآيتان ١٥٠ ن ١٥١ سورة النساء ، وقوله تعالى : ٦- وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ من الآية ٨٩ سورة البقرة .

• ومن السنة :

- (١) في الصحيحين عن أبي موسى ؓ عن النبي ﷺ قال: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به" (١)

- (٢) وفي البخاري عن أبي موسى عن النبي ﷺ قَالَ مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ عَلَى أَجْرٍ مَعْلُومٍ فَعَمِلُوا لَهُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالُوا لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ الَّذِي شَرَطْتَ لَنَا وَمَا عَمَلْنَا بَاطِلٌ

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٢٧) برقم: (٧٩) (كتاب العلم ، باب فضل من علم وعلم) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٧ / ٦٣) برقم:

(٢٢٨٢) (كتاب الفضائل ، باب بيان مثل ما بعث به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الهدى والعلم) (بمثله).

فَقَالَ لَهُمْ لَا تَفْعَلُوا أَكْمَلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلًا فَأَبَوْا وَتَرَكَوْا وَاسْتَأْجَرَ أَجِيرَيْنِ بَعْدَهُمْ فَقَالَ لِهَمَا أَكْمَلَا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمَا هَذَا وَلَكُمَا الَّذِي شَرَطْتُ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ قَالَ لَكَ مَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ وَلَكَ الْأَجْرُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فِيهِ فَقَالَ لِهَمَا أَكْمَلَا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمَا مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ فَأَبَيَا وَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا فَذَلِكَ مِثْلُهُمْ وَمِثْلُ مَا قَبِلُوا مِنْ هَذَا النُّورِ" (١)

● والقبول يتضمن معنى قلبيا وهو : الرضا : ففي مسلم عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ رسولاً » (٢) . وفي مسلم عن أبي سعيد الخدري أن ﷺ قال يا أبا سعيد من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ نبياً وجبت له الجنة" (٣) ولتحقيق شرط القبول قسمان :

القسم الأول : قبول ضروري وهو الحد الأدنى من القبول الذي لا بد أن يوجد عند كل مسلم : بأن يقبل ما تقتضيه الشهاداتتان من معان كبرى كالأركان والشروط ، فإذا رد شيئا من ذلك كفر ، وذلك بأن يأتي بما ينافي هذا الشرط منفاة تامة مثل :

١- أن يرد شيئا من أصول الدين ، أو يرد شيئا مما تقتضيه هذه الكلمة من الأركان.

٢- أن يرد شيئا من أحكام الشرع اعتقادا منه بعدم مناسبتها للعصر، ونحو ذلك.

فالمخالفة في هذا القسم تنافي الإيمان كله فهو الحد الأدنى من القبول .

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١١٦) برقم: (٥٥٨) (كتاب مواقيت الصلاة ، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب ) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٤٦) برقم: (٣٤) (كتاب الإيمان ، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا ) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ / ٣٧) برقم: (١٨٨٤) (كتاب الإمارة ، باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة ) (بهذا اللفظ)

**القسم الثاني :** قبول تكميلي للقسم الأول ، وتحقيقه يدل على كمال الإيمان ، بأن يقبل الالتزام بجميع ماتقتضيه الشهاداتتان من واجب ومدوب ، وهنا يختلف الناس في ذلك بحسب قوة الإيمان وضعفه ، فمن وجد عنده عدم التزام ببعض جاء به الشرع بما لا يخل بالأصول الكبار ، فتكون مخالفته من قبيل المنافاة الجزئية لهذا الشرط (ينافي كمال الإيمان)، مثل : أن لا يظهر أثر القبول على أعمال الجوارح في سرعة الامتثال بفعل الأوامر ، واجتناب النواهي ، وتحكيم الأهواء في ذلك . ، فيقبل منها ما يهواه ، ويرد ما يعارض هواه ، فإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ، ومن ذلك الكبر فقد فسره الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه "بطر الحق وغمط الناس " كما في مسلم عن بن مسعود رضي الله عنه (١)

فتحقيق هذا الشرط بالقبول التام يكون بسلامته من المنافاة التامة ، و الجزئية ، بأن لا يقع في مخالفة شرعية من ترك واجب أو فعل محرم، وهو القبول الذي يخلوا من كل ماينافي الإيمان منفاة تامة ، أو جزئية ، وليس لهذا حد . فالقبول الناقص هو الذي يشوبه وجود التقصير في القسم الثاني ، بأن يضعف عنده الالتزام بما تقتضيه هذه الكلمة من الحقوق . أما حدوث التقصير في القسم الأول فهو فقدان لهذا الشرط بالكلية . فالقبول التام درجاته كثيرة وليس لتمامه حد، والقبول الناقص هو الأغلب . والله تعالى أعلم .

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٦٥) برقم: (٩١) (كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه ) (بهذا اللفظ)

## المسألة الثالثة : أدلة شرط المحبة

وقد دل عليه الكتاب والسنة ، فمن الكتاب :

(١) قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ ﴿ من الآية

٥٤ سورة المائدة

(٢) وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا

وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا

حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿ الآية ٢٤ سورة التوبة

(٣) وقوله تعالى : ﴿مَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴿

من الآية ١٦٥ سورة البقرة

وجه الاستدلال : أن علامة حب العبد ربه : تقديم محابه وإن خالفت هواه ، وبغض ما يبغض ربه ،

وإن مال إليه هواه ، وموالاته من وإلى الله ورسوله ، ومعاداة من عاداه ، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء أثره وقبول

هداه ، وكل هذه العلامات شروط في المحبة لا يتصور وجود المحبة مع عدمها.

(٤) وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿ الآيتان ٣١ ، ٣٢ سورة آل عمران.

وجه الاستدلال: أن من لوازم شرط المحبة أن يكون الله ورسوله ﷺ أحب إلى العبد من نفسه، ووالده،

والناس أجمعين؛ فإن شهادة: لا إله إلا الله، تستلزم شهادة أن محمداً رسول الله، وتقتضي متابعتة قال

الحسن البصري وغيره من السلف ادعي قوم محبة الله عز وجل فابتلاهم الله بهذه الآية .

## ومن السنة :

(١) ماجاء في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ" (١)

(٢) وفيهما عن أنس رضي الله عنه قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" ولفظ مسلم " حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" (٢)

(٣) وفي مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ وَمَا أَعَدَدْتَ لِلْسَّاعَةِ قَالَ حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحَبَبْتَ قَالَ أَنْسٌ فَمَا فَرِحْنَا بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرِحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحَبَبْتَ قَالَ أَنْسٌ فَأَنَا أَحَبُّ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ" (٣)

(٤) وفي البخاري عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْآنَ يَا عُمَرُ" (٤)

(١) - - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٢) برقم: (١٦) (كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٨) برقم: (٤٣) (كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان) (بمثله).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٢) برقم: (١٥) (كتاب الإيمان ، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٩) برقم: (٤٤) (كتاب الإيمان ، باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين) (بمثله).

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥ / ١٢) برقم: (٣٦٨٨) (كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٢) برقم: (٢٦٣٩) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب المرء مع من أحب) (بنحوه مختصراً).

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٢٩) برقم: (٦٦٣٢) (كتاب الأيمان والندور ، باب كيف كانت يمين النبي) (بهذا اللفظ)

وجه الاستدلال: أن محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واجبة ، والمقصود هو المحبة الشرعية ، وهي محبة متكلفة في الغالب وهي هنا بمعنى الاعتقاد ، أن يعتقد وجوب محبتها بفعل الأوامر واجتناب النواهي ، ويكره نفسه على فعل ما يجب وترك ما يحرم ، أما أن تصل المحبة الشرعية للأوامر الشرعية من حيث الفعل ، والنواهي من حيث الترك إلى درجة المحبة الجبلية فهو أمر نادر ، والله ذو الفضل العظيم . ويوضح ذلك حديث عمر رضي الله عنه المتقدم ، ومثله ، ماجاء في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ أَوْ قَالَ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ " (١)

والله تعالى أعلم .

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٢) برقم: (١٣) (كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٩) برقم: (٤٥) (كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير) (بمثله مطولاً).

## ولتحقيق شرط المحبة قسمان :

**القسم الأول:** محبة ضرورية وهي : الحد الأدنى من المحبة التي لا بد أن توجد عند كل مسلم ، وتتمثل في

ثلاثة أمور فإن خالفها أو خالف شيئاً منها ، كان ذلك من قبيل المنافاة التامة لهذا الشرط :

**الأمر الأول :** أن يحب الشهادتين وما تضمنتاه من المعاني بقلبه مع قوله بلسانه ، فإن أبغض شيئاً من

معانيهما كفر ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ

الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ الآية ٤٥ سورة الزمر .

**الأمر الثاني:** أن يحب جميع ما أمر الله به ، وما أمر به رسوله ﷺ من الأوامر حبا شرعيا-فالمحبة القلبية

الجبيلية ليست لازمة - ، فإن أبغض شيئاً منها ( بأن يعتقد أنه خطأ وكان الأولى كذا) كفر لقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ

بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ الآية ٩ سورة محمد . والمقصود بالحب الشرعي للأوامر:

اعتقاد صوابها وأنها الحق ولو غلبته نفسه فعمل بخلافها ، ويلزم من ذلك وجود البغض لجميع

النواهي التي نهاه الله ورسوله ﷺ-عنها ، بغضا شرعيا- فالبغض القلبي الجبيلي ليس لازما-، فإن أحب

شيئاً منها كفر. والمقصود بالبغض الشرعي للنواهي : اعتقاد فساد المنهي عنه وأن تركها هو الحق ولو غلبته

نفسه فعمل بخلافها (١) . والله تعالى أعلم .

**الأمر الثالث:** أن لا يصرف المحبة المشوبة بالتعظيم لغير الله فإن فعل كفر لقوله تعالى : ﴿ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ

مِنْ دُونِ اللَّهِ أُنْدَادًا يُجْبُوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ من الآية ١٦٥ سورة البقرة . . فالمخالفة في هذا

القسم تنافي الإيمان كله .

(١) - البغض هنا متعلق بالعمل ، والبغض الذي تقدم في ركن النفي متعلق بالعمل ، فليتبينه .

**القسم الثاني :** محبة تكميلية للقسم الأول ، وتحققها يدل على كمال الإيمان ، ومخالفتها تنافي كمال الإيمان الواجب ، فتكون المخالفة في هذا القسم من قبيل المنافاة الجزئية لهذا الشرط:

ومن أمثلة المخالفة في هذا القسم : تقديم المحاب القلبية الثمانية على محبة الله ومحبة رسوله ﷺ إذا لم تصل إلى حب العباد لقله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الآية ٢٤ سورة التوبة

فتحقيق شرط المحبة يكون تدفعه محبة الله ورسوله إلى فعل الأوامر ، وترك النواهي ولو خالفت جميع المحاب الدنيوية . فكمال المحبة هو الذي يخلو من المنافاة الجزئية لهذا الشرط ، وليس لهذا حد . والمحبة الناقصة هي التي تشوبها المنافاة الجزئية بوجود التقصير عندما يقدم ماتحبه النفس على ما يحبه الله ورسوله في بعض الأوقات ، أما حدوث التقصير في القسم الأول فهو فقدان لهذا الشرط ومناف للإيمان بالكلية . فالمحبة درجاتها كثيرة ، وليس لتمامها حد ، والمحبة الناقصة هي الأغلب . والله تعالى أعلم .

## المسألة الرابعة: أدلة شرط اليقين

• وقد دل عليه الكتاب والسنة : فمن الكتاب : قد جاءت آيات كثيرة تصف أهل اليقين ومن ذلك :

(١) قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ الآية ١٥ سورة الحجرات .

(٢) وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ الآية ٤ سورة البقرة .

(٣) وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ الآية ٢٤ سورة السجدة .

وآيات آخر تصف أهل الشك والريب، ومن ذلك :

(٤) قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ الآية

٤٥ سورة التوبة

(٥) وقوله تعالى: ﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ الآية ٦٦ سورة النمل

(٦) وقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ من الآية ١٠ سورة إبراهيم

(٧) وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا

﴿ الآية ٦٢ سورة هود . والآيات في هذا المعنى كثيرة .

ومن السنة : وأدلتها أصرح في الدلالة على المقصود من حيث التنصيص على الشهادتين :

(١) ماجاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : "أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة" (١) . وفي رواية "لا يلقى الله بهما عبد غير

شاك فيهما فيحجب عن الجنة" (٢) . وجه الاستدلال: أنه قد جعل اليقين في الشهادتين شرطا لدخول

الجنة.

(٢) وفي مسلم عنه ﷺ في حديث طويل: " أن النبي ﷺ بعث بنعليه فقال " من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد

أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة" (٣) الحديث. وجه الاستدلال: فاشترط في دخول

قائلها الجنة أن يكون مستيقنا بها قلبه غير شاك فيها وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط ، ومن المعلوم أن

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٤١) برقم: (٢٧) (كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار ) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٤١) برقم: (٢٧) (كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار ) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٤٤) برقم: (٣١) (كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار ) (بهذا اللفظ)

لا إله إلا الله إذا أفردت دخلت فيها شهادة أن محمدا رسول الله ، وكذلك إذا أفردت شهادة أن محمدا رسول الله دخلت فيها شهادة أن لا إله إلا الله كما في الحديثين التاليين :

(٣) وفي الصحيحين عن أسماء رضي الله عنها في حديث كسوف الشمس وفيه " ثم قال ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي حتى الجنة والنار ، فأوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريب ، لا أدري أي ذلك قالت أسماء من فتنة المسيح الدجال ، يقال : ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن لا أدري بأيهما قالت أسماء فيقول : هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا واتبعنا هو محمد ثلاثا فيقال : نم صالحا قد علمنا إن كنت لموقنا به ، وأما المنافق أو المرتاب لا أدري أي ذلك قالت أسماء فيقول : لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته " (١)

(٤) وأخرج الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : "... فأما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسألون فإذا كان الرجل الصالح اجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف ثم يقال له فيم كنت فيقول في الإسلام فيقال ما هذا الرجل الذي كان فيكم فيقول محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله عز وجل فصدقناه فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضا فيقال له انظر إلى ما وقاك الله عز وجل ثم يفرج له فرجة إلى الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له هذا مقعدك منها ويقال على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله وإذا كان الرجل السوء اجلس في قبره فزعا مشعوبا فيقال له فيم كنت فيقول لا أدري فيقال ما هذا الرجل الذي كان فيكم فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت كما قالوا فتفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له انظر إلى ما صرف الله عز وجل عنك ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضا ويقال له هذا مقعدك منها كنت على الشك وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله ثم يعذب " (٢)

(١) - أخرجه الإمام أحمد (١١ / ٦٠٤٦) برقم: (٢٥٧٢٩) (مسند عائشة رضي الله عنها ، ) (بهذا اللفظ) قال في الترغيب والترهيب ج٤/ص١٩٥ رواه أحمد بإسناد صحيح ، وقال في مصباح الزجاجة ج٤/ص٢٥٢ / ٦٢٥١ هذا إسناد صحيح رواه النسائي في التفسير ... وله شاهد من حديث البراء بن عازب رواه أبو داود في سننه" وقال الأرئوط "إسناده صحيح على شرط الشيخين "

(٢) - سبق تخريجه

## ولتحقيق شرط اليقين قسمان:

**القسم الأول:** يقين ضروري وهو: الحد الأدنى من اليقين الذي لا بد أن يوجد عند كل مسلم ١- بأن يقولهما مستيقنا بجميع ما تعنيه الشهاداتتان من الاعتقادات في ركني النفي والإثبات وركن المتابعة ، فإن لم يكن مستيقنا بذلك كفر. ٢- أن يكون مستيقنا بجميع ما أمر الله ورسوله به وما نهى عنه الله ورسوله وما أخبر به الله ورسوله بأنه حق كله ، والمصلحة فيه متمحضة ، وأن مانهى عنه الله ورسوله باطل كله والمفسدة فيه متمحضة فإن شك أو تردد في شيء من ذلك كفر . فالمنافاة التامة لهذا الشرط تكون بأمر منها: ١- وجود الشك في شيء من أصول الدين مما تقدم ( في خصائص الله من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات . ٢- الشك في شيء مما أخبر به الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم . ٣- اعتقاد أن الأوامر الشرعية أو بعضها مفسد ينبغي الإعراض عنها مطلقا ، أو أن النواهي الشرعية أو بعضها مصالح ينبغي الإتيان بها مطلقا. فالمخالفة في هذا القسم تنافي الإيمان كله.

**القسم الثاني:** يقين تكميلي للقسم الأول ، وتحقيقه يدل على كمال الإيمان ، بأن يدفعه اليقين بالشهادتين إلى فعل جميع الأوامر وترك جميع النواهي ، في العبادات والمعاملات ، وفي هذا القسم يختلف الناس بحسب قوة اليقين وضعفه ، والمخالفة في هذا القسم تنافي كمال الإيمان الواجب ، وذلك بأن يدفعه ضعف اليقين إلى فعل بعض المحرمات وترك بعض الواجبات . واليقين درجات كثيرة يتفاوت فيها الناس بقدر إيمانهم ، فمن الذي يوقن حقا بقوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ الآية ٢٤٥ سورة البقرة ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ من الآية ٣٩ سورة سبأ ، فيدفعه ذلك إلى البذل والعطاء ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ من الآية ٢ ، ٣ سورة الطلاق ، وبقوله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٦٨) الآية ٢٦٨ سورة البقرة

ومثله في السنة ماجاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ" (١) وأكثر الناس من حيث التطبيق على خلاف ذلك إلا أهل اليقين .

فكلما ازداد اليقين بوعده الله ، ووعيده ، كلما زادت التقوى ، فهو لا يظلم ، ولا يكذب ، وتهون عليه جميع العبادات ، بل يلتذ بها . ومنه اليقين بنصرة الله لهذا الدين ، مهما ظهر للناس غير ذلك ، فيكون ممن قال الله فيهم ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ الآية ٢٤ سورة السجدة.

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢١) برقم: (٢٥٨٨) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب العفو والتواضع) (هذا اللفظ)

فالمنافاة الجزئية لهذا الشرط تتمثل في : عدم عمل الجوارح بكثير مما يوجبه اليقين بهذه الكلمة وحقوقها ، ويتبين ذلك : عندما يقع الخلل بعدم تطبيق بعض الأوامر على الوجه المأمور به شرعا ، أو التهاون بترك بعضها ، أو بعدم اجتناب بعض النواهي والتهاون بفعلها.

فتحقيق هذا الشرط يكون بمحاولة الوصول إلى مايمكن الوصول إليه من كمال اليقين في كلا القسمين ، وهو الامتثال الذي يخلوا من كل ماينافي هذا الشرط منافاة تامة ، أو جزئية ، واليقين الناقص هو من توجد عنده المنافاة الجزئية ، أما من حصل عنده خلل في القسم الأول فإنه يكون فاقدا لهذا الشرط ، وبالتالي يكون فاقدا للإيمان .

فاليقين درجاته كثيرة وليس لتمامه حد ، واليقين الناقص هو الأغلب . والله تعالى أعلم .

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة : فمن الكتاب :

- (١) قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ الآية ٣٣ سورة الزمر
- (٢) وقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ الآية ٢٢ سورة الأحزاب .
- (٣) وقوله تعالى : ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ الآيتان ٢ ، ٣ سورة العنكبوت .
- (٤) وقال في شأن المنافقين الذين قالوها كذبا ﴿ وَمَنْ النَّاسُ مَنِ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ الآيتان ٨ ، ٩ سورة البقرة .
- (٥) وقوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ من الآية ١١ سورة الفتح .
- (٦) وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ الآية ١٢ سورة الأحزاب

ومن السنة :

- (١) ماجاء في الصحيحين عن معاذ بن جبل ؓ عن النبي ﷺ قال : " ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار " (١) وهذا النص صريح الدلالة على المقصود من حيث التنصيص على الشهادتين في كون الصدق شرطا لهما .
- (٢) وفيهما أيضا من حديث أنس بن مالك وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما من قصة الاعرابي وهو ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر لما سأل النبي ﷺ عن شرائع الإسلام فأخبره قال هل علي غيرها قال : " لا إلا أن تطوع قال والله لا أزيد عليها ولا أنقص منها فقال النبي ﷺ أفلح إن صدق " وفي بعض الروايات " إن صدق ليدخلن الجنة " ٢ فاشترط في فلاحه ودخول الجنة أن يكون صادقا .

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣٧ / ١) برقم: (١٢٨) (كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٤٥ / ١) برقم: (٣٢) (كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرّم على النار) (بمثله).  
 ٢ - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٨ / ١) برقم: (٤٦) (كتاب الإيمان ، باب الزكاة من الإسلام) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٣١ / ١) برقم: (١١) (كتاب الإيمان ، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام) (بمثله).

(٣) وفي الصحيحين عن أسماء رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : " إنه قد أوحى إلى أنكم تفتنون في القبور قريبا أو مثل فتنة المسيح الدجال يؤتى أحدكم فيقال له ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن أو قال الموقن فيقول هو رسول الله هو محمد ﷺ جاءنا بالبينات والهدى فأَمانا وأَجَبنا واتبَعنا وصدقنا " (١) فاشتراط في الصدق في الشهادة بأن محمدا رسول الله ، وهي إذا أفردت دخل في معناها لإله إلا الله .

### ولتحقيق شرط الصدق قسمان :

**القسم الأول:** صدق ضروري ، وهو الحد الأدنى من الصدق الذي لا بد أن يوجد عند كل مسلم : ١- فلا بد أن يكون صادقا في قوله للشهادتين يواطئ قلبه لسانه ، وإلا كان منافقا . ٢- لا بد أن يكون صادقا في أن يأتي بجميع ماتقتضيه الشهادتين من المعاني المتعلقة بالأركان ، فإذا ناقضهما بفعل ماينقضهما من فعل أو قول أو اعتقاد كان كاذبا . فالمخالفة في هذا القسم تنافي الشهادتين منافاة تامة ، وبمعنى آخر: تنافي الإيمان كله .

**القسم الثاني:** صدق تكميلي للقسم الأول ، وتحقيقه يدل على كمال الإيمان ، فكمال الصدق أن يكون صادقا في أدائه لجميع ما يجب عليه ، صادقا في ترك جميع ما ينهى عنه . وهنا يختلف الناس في ذلك بحسب قوة الإيمان وضعفه ، والمخالفة في هذا القسم تنافي كمال الإيمان الواجب ، فقد يقولهما بلسانه صادقا من قلبه ولكن عمله مخالف بما لا يناقض أصلهما ، فتكون المخالفة في هذا القسم من قبيل المنافاة الجزئية لهذا الشرط .

فتحقيق شرط الصدق يكون بمحاولة الوصول إلى مايمكن الوصول إليه من كمال الصدق في كلا القسمين ، وهو الصدق الذي يسلم من المنافاة التامة ، و الجزئية ، وليس لهذا حد ، والصدق الناقص هو من يوجد عنده تقصير في القسم الثاني بأن يضعف عنده الالتزام بما تقتضيه هذه الكلمة من الحقوق سوى الأركان والشروط ، وهذه من المنافاة الجزئية لهذا الشرط . أما حدوث التقصير في القسم الأول فيعد فقداننا لهذا الشرط بالكلية . فدرجات الصدق كثيرة وليس لتمامه حد وقد جاء في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ : " عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ

- وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا" (١)
- فمن الذي يصدق حتى يبلغ درجة الصديق ؟ والصدق الناقص هو الأغلب. والله تعالى أعلم.

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٢٥) برقم: (٦٠٩٤) (كتاب الأدب ، باب قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (بمثله).  
 ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٩) برقم: (٢٦٠٧) (كتاب البر والصلوة والآداب ، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله) (بمثله).

## المسألة السادسة : أدلة شرط الإخلاص

ويدل على هذا الشرط الكتاب والسنة : فمن الكتاب :

(١) قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ الآية ٥ سورة البينة

(٢) وقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ الآية ١١ سورة الزمر

(٣) وقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ الآية ١١٠ سورة الكهف

ومن السنة :

(١) ماجاء في الصحيح (البخاري) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسوله قال : "أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله

خالصا من قلبه أو نفسه" (١) . قلت : وهذا النص صريح الدلالة على المقصود من حيث التنصيص

على الشهادتين في كون الإخلاص شرطا لشهادة أن لا إله إلا الله . وهي إذا أفردت دخل في معناها

شهادة أن محمدا رسول الله . والله تعالى أعلم .

(٢) وفي الصحيحين عن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن رسوله قال : " إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي

بذلك وجه الله عز وجل" (٢) . وهذا الحديث في معنى الذي قبله .

(١) وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ " إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ

يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ" (٣) وفيه إشارة إلى الإخلاص .

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٣١) برقم: (٩٩) (كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث ) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٩٢) برقم: (٤٢٥) (كتاب الصلاة ، باب المساجد في البيوت ) (بهذا اللفظ) ، (٢ / ١٢٦) برقم: (٣٣) (كتاب

المساجد ومواضع الصلاة ، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر ) (بمثله).

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١١) برقم: (٢٥٦٤) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ) (بهذا اللفظ)

وقبل الشروع في بيان كيفية تحقيق الإخلاص وبيان أقسامه، فلا بد من توضيح مسألتين  
لهما تعلق بشرط الإخلاص:  
المسألة الأولى : الإخلاص شرط في الثواب على العبادات غير المحضنة  
العبادة تشمل:

(١) العبادات المحضنة ، وهي : الأعمال والأقوال التي هي عبادات من أصل مشروعيتها ، والتي دل الدليل  
من النصوص أو غيرها على تحريم صرفها لغير الله، ويدخل في العبادات المحضنة : أ- العبادات القلبية  
وهي تشمل قول القلب "اعتقاده" وعمل القلب مثل المحبة والإخلاص والرجاء والخوف والتوكل والصبر  
على فعل الأوامر وترك النواهي . ب- العبادات القولية كالنطق بكلمة التوحيد ، والذكر والأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر وقراءة القرآن . ج- العبادات الفعلية "البدنية" كالصلاة والصيام والسجود والطواف  
والحج وطلب العلم الشرعي . د- العبادات المالية كالزكاة وصدقة التطوع والذبح والنذر بإخراج شيء من  
المال.

(٢) العبادات غير المحضنة وهي : الأعمال والأقوال التي ليست عبادات من أصل مشروعيتها ولكنها تتحول  
بالنية الصالحة إلى عبادات مثل أ- فعل الواجبات والمندوبات التي ليست في الأصل من العبادات : كالنفقة  
الواجبة وبر الوالدين وإكرام الضيف . ب- ترك المحرمات فإن تركها لله أثيب على ذلك . ج- فعل  
المباحات كالأكل والنوم والبيع فإن نوى بفعلها التقوي على طاعة الله إثيب عليها<sup>١</sup>

فالعبادات الخالصة من شرط صحتها والثواب عليها الإخلاص ، والعبادات غير الخالصة من شرط  
الثواب عليها الاحتساب وهو بمعنى إخلاص النية فيها لله .

المسألة الثانية : هل يعاقب من لم يخلص النية لله في بعض العبادات غير المحضة ؟

تقدم بأن العبادات الخالصة من شرط صحتها والثواب عليها الإخلاص.

وأما العبادات الغير خالصة (غير محضة) ويدخل في ذلك: تنفيذ الأمر الشامل للواجب والمستحب

، والنهي الشامل للمحرووم والمكروه ، والمباح ويدخل في ذلك العادات، فمن شرط الثواب عليها

الاحتساب (الإخلاص لله) ، لكن لو امتثل في العبادات غير الخالصة من غير احتساب ، أو

امتثل لغير وجه الله فإنه لا يأثم لأنه قد امتثل ، ولا يؤجر لأنه لم يحتسب .

وهنا يرد استشكل حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار ونصه : " عن أبي هريرة رضي

الله عنه قال : ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه ، رجل

استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال: كذبت

، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار ، ورجل تعلم

العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته ،

وقرأت فيك القرآن ، قال: كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد

قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ،

فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت

فيها لك ، قال: كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في

النار" (١) . فهذا الحديث وما جاء في معناه موضع استشكل :

وهنا قد يقال بأن هذه الأعمال تحتمل: إرادة الدنيا ، وإرادة الآخرة ، وهاتنا طوائف :

الطائفة الأولى : هم الذين أظهروا للناس أنهم يريدون بهذه الأعمال وجه الله والدار الآخرة

، وهم في بواطنهم إنما يريدون الدنيا فقط فعوقبوا بذلك ، فإرادة الدنيا عندهم كانت إرادة

خالصة ، ففي الحديث المتقدم قوله "لأن يقال جريء ... ولكنك تعلمت العلم ليقال" فظاهر

ذلك الإرادة الخالصة غير المشوبة .. وكما في الحديث الآخر عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ / ٤٧) برقم: (١٩٠٥) (كتاب الإمارة ، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار) (بهذا اللفظ)

من الدنيا ، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" (١) فقله "إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا " يدل على أنه إنما أراد ذلك فقط .

والطائفة الثانية : هم من جاهد ، أو أنفق ، أو علم ، ولم يرد بذلك الآخرة ، ولكنه لم يظهر للناس أنه أراد الآخرة كما في الطائفة الأولى ، وإنما فعل هذه الأمور من باب أداء ما يجب عليه من غير احتساب ، فيحتمل أن لا يثاب ولا يعاقب ، فهو لا يعاقب لأنه أدى الواجب المطلوب منه ، ولا يثاب لأنه لم يحتسب .

الطائفة الثالثة : هم من شرك إرادة الدنيا بإرادة الآخرة وهاهنا وجهتان :  
الوجهة الأولى : بأن يقال : بأن من أشرك في إرادته الآخرة ، فإنه لا يعاقب ، ولكنه لا يثاب لعدم إخلاص الإرادة لله ، وقد يستدل على ذلك بحديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه "أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشيء له فأعادها عليه ثلاث مرات يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشيء له ثم قال إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه" (٢)

الوجهة الثانية : بأن يقال بأنه يؤجر على إرادته الآخرة إذا لم يكن رياء . قال بن رجب -رحمه الله- في جامع العلوم والحكم ص ٨١-٨٢ " فإن خالط نية الجهاد مثلاً نية غير الرياء ، مثل أخذ أجره للخدمة أو أخذ شيء من الغنيمة ، أو التجارة ، نقص بذلك أجر الجهاد ولم يبطل بالكلية وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الغزاة إذا غنموا غنيمة ، تعجلوا ثلثي أجرهم ، فإن لم يغنموا شيئاً تم لهم أجرهم " وقد ذكرنا فيما مضى أحاديث تدل على أن من أراد بجهاده عرضاً من الدنيا أنه لا أجر له ، وهي محمولة على أنه لم يكن له غرض في الجهاد إلا الدنيا "أه كلامه رحمه الله .  
والذي يظهر بأنه لا بد من الإخلاص التام لله لمن أراد الثواب ، ولا عقوبة إلا في هذه الأعمال التي تشوبها العبادة ( كالعلم والجهاد والنفقة) للنص عليها ، ومن شرط العقوبة :

١- أن تكون إرادته -بهذه الأعمال- للدنيا إرادة خالصة.

(١) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١ / ٢٧٩) برقم: (٧٨) (كتاب العلم ، ذكر وصف العلم الذي يتوقع دخول النار في القيامة لمن طلبه ) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه النسائي في "المجتبى" (١ / ٦١٩) برقم: (٣١٤٠) (كتاب الجهاد ، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر ) (بهذا اللفظ) قال ابن حجر في فتح

الباري شرح صحيح البخاري: (٦ / ٣٣) إسناده جيد

٢- أو لمن أظهر للناس بأنه يريد-بهذه الأعمال- الآخرة وهو كاذب .

ولا ثواب ولا عقاب لمن:

١- شرك في إرادته بأن جمع بين إرادة الدنيا والآخرة.

٢- ولا لمن أراد الدنيا من غير إظهار للناس أنه يريد الآخرة.

وقد يقال بأنه في حال التشريك في الإرادة أنه:

١- يثاب إذا كانت إرادة الآخرة هي الغالبة .

٢- وقد لا يعاقب مادام أنه قد أراد الآخرة مع الدنيا وإن كانت إرادة الآخرة مغلوبة بإرادة الدنيا.

٣- أنه يثاب مطلقا بقدر إرادته الآخرة ، سواء كانت غالبة على إرادة الدنيا أو مغلوبة بها ، وهو ما أشار إليه ابن رجب -رحمه الله- فيما تقدم بشرط أن لا يكون رياء . وهو الأقرب والله تعالى أعلم .

## ولتحقيق شرط الإخلاص قسمان:

**القسم الأول : إخلاص ضروري :** وهو الحد الأدنى من الإخلاص الذي لا بد أن يوجد عند كل مسلم بأن: ١- يقولهما معتقدا معناه طلبا لمرضاة الله ، لا من أجل حظ من حظوظ الدنيا ، وهذا لا بد منه لصحة الإسلام وإلا فهو نفاق . ٢- أن يصرف جميع أنواع العبادة المحضة (كالصلاة والدعاء والندب والذبح) لله وحده ، على الوجه الذي أمر الله به ، وأمر به رسوله عليه الصلاة والسلام ، بأن يتوجه بقصده وطلبه بجميع أنواع العبادة لله وحده ، وهذا لا بد منه لتحقيق هذا الشرط ، فإن صرف شيئا منها لغير الله فقد ، كفر . ومما يدل على هذا المعنى :

(١) ماجاء في صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يقول الله عز وجل : "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة" (١) .

(٢) وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة : "لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تنفدي به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي" (٢)

● **فالحد الأدنى من الإخلاص :** بأن يصدق في قولهما فيواطئ قلبه لسانه ، يريد بذلك وجه الله ، وإخلاص جميع أنواع العبادة لله وحده بأن يفرد الله بالعبادة ظاهرا وباطنا . فهذا الإخلاص ضروري لكل مسلم ، فالمخالفة في هذا القسم تنافي الإيمان كله.

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦٧ / ٨) برقم: (٢٦٨٧) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى ) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٣٣ / ٤) برقم: (٣٣٣٤) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١٣٤ / ٨) برقم: (٢٨٠٥) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب طلب الكافر الفداء بماء الأرض ذهابا ) (بنحوه).

القسم الثاني : قسم تكميلي : فتحقيقه يدل على كمال الإيمان ، بأن يكون مخلصا لله متابعا لرسوله ﷺ في جميع الأقوال والأفعال في العبادات وفي العادات الظاهرة والباطنة كما قال تعالى " قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له " وهذا الإخلاص بهذا المعنى لا حد له والناس يتفاوتون في كماله .

فالمنافاة التامة لهذا الشرط : ١- أن يقولهما بغير اعتقاد لمعناهما ، أو أنه قال ذلك من أجل حظ من حظوظ الدنيا وهذا هو المنافق . ٢- أن يقوم بصرف شيئا من العبادات المحضة لغير الله كالدعاء والندب والذبح .

والمنافاة الجزئية في باب العبادات المحضة لهذا الشرط : الشرك الأصغر ، والرياء في بعض صوره ، والمنافاة الجزئية في باب العبادات غير المحضة ، أن يغفل عن إرادة الثواب من الله في بيعه وشراؤه ، وفي بيته وسوقه ، وسائر عمله . وهنا يختلف الناس في ذلك بحسب قوة الإيمان وضعفه ، فقد يتخلف الإخلاص في باب العبادات المحضة تخلفا جزئيا ، فيكون قد وقع في الشرك الأصغر كما لو راءى ببعض بعمله أو سمع به ومما جاء في ذلك :

(١) ما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ » (١)

(٢) وفي الصحيحين من حديث جندب العلقمي قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ " (٢)

فتحقيق شرط الإخلاص يكون بمحاولة الوصول إلى مايمكن الوصول إليه ، من كمال الإخلاص في كلا القسمين ، وهو الإخلاص الذي يسلم من المنافاة التامة والمنافاة الجزئية ، والإخلاص الناقص هو من توجد عنده المنافاة الجزئية . فالإخلاص التام درجاته كثيرة وليس لتمامه حد ، والإخلاص الناقص هو الأغلب . والله تعالى أعلم .

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٢٣) برقم: (٢٩٨٥) (كتاب الزهد والرقائق ، باب من أشرك في عمله غير الله) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٠٤) برقم: (٦٤٩٩) (كتاب الرقاق ، باب الرياء والسمة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٢٣)

برقم: (٢٩٨٧) (كتاب الزهد والرقائق ، باب من أشرك في عمله غير الله) (بنحوه).

## المسألة السابعة : أدلة شرط الإنشاء

ويدل على هذا الشرط الكتاب والسنة : فمن الكتاب :

(١) قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) ﴾ الآية ٦٠ سورة النساء ، مع قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ الآية ٦٥ سورة النساء .

(٢) قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) ﴾ من سورة النور

(٣) قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ الآية ٣٦ سورة الأحزاب .

(٤) قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤) ﴾ الآية ١٠٤ سورة المائدة

### ومن السنة :

(١) في الصحيحين : عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " لما كان يوم حنين آثر رضي الله عنه أناسا في القسمة وأعطى أناسا من أشرف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة قال رجل والله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله " فقال فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله رحم الله موسى قد أوزني بأكثر من هذا فصبر " (١)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٩٥) برقم: (٣١٥٠) (كتاب فرض الخمس ، باب ما كان النبي يعطي المولفة قلوبهم وغيرهم) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٣ / ١٠٩) برقم: (١٠٦٢) (كتاب الزكاة ، باب إعطاء المولفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه) (بمثلته).

(٢) وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن بذهبة في تربتها فقسمها بين أربعة نفر فقال رجل من أصحابه كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء قال فبلغ ذلك صلى الله عليه وسلم فقال ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء قال فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كثر اللحية مخلوق الرأس مشمر الإزار فقال يا رسول الله اتق الله فقال ويلك أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله " (١)

(٣) ما ثبت في مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم فصام الناس ثم دعا بقدر من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه ثم شرب فقليل له بعد ذلك إن بعض الناس قد صام فقال أولئك العصاة أولئك العصاة " (٢)

(٤) وفي الصحيحين عن معاذة قالت : سألت عائشة فقلت ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ؟ فقالت أحرورية أنت ؟ قلت لست بحرورية ولكني أسأل قالت كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة " (٣) وهذا لفظ مسلم

٦- وفي الصحيحين عن عبد الله بن الزبير، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ حَاصِمَ الزُّبَيْرِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي شَرَاخِ الْحُرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: سَرِحَ الْمَاءَ يَمُرُّ فَأَبَى عَلَيْهِ فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلزُّبَيْرِ: اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسَلَ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ فَتَلَوْنَ وَجْهَهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَحْبَسَ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجُدْرِ فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) (٤)

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٣٧) برقم: (٣٣٤٤) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله عز وجل وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر ) ، ومسلم

في "صحيحه" (٣ / ١١٠) برقم: (١٠٦٤) (كتاب الزكاة ، باب ذكر الخواجر وصفاتهم ) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣ / ١٤١) برقم: (١١١٤) (كتاب الصيام ، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية ) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٧١) برقم: (٣٢١) (كتاب الحيض ، باب لا تقضي الحائض الصلاة ) (بمعناه) ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٨٢) برقم: (٣٣٥) (كتاب الحيض ، باب وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة ) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ١١١) برقم: (٢٣٥٩) (كتاب الشرب والمساقاة ، باب سكر الأنهار ) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٧ /

٩٠) برقم: (٢٣٥٧) (كتاب الفضائل ، باب وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم ) (بمثله).

## ولتحقيق شرط الانقياد قسمان :

**القسم الأول:** انقياد ضروري ، وهو الحد الأدنى من الانقياد ، بأن ينقاد لما دلت عليه الشهاداتتان من المعاني : كإخلاص العبادة لله ، وترك الشرك ، وإفراده صلى الله عليه وسلم بالمتابعة ، وفعل الواجبات ، وترك المحرمات . فإن قالها ولم يسلم بموجباتها وما تقتضيه الأوامر والنواهي ، أو ظن أنه يسعه مخالفة الشريعة وما جاءت به . فالمخالفة هنا تنافي الإيمان .

**القسم الثاني:** انقياد تكميلي للقسم الأول ، وتحقيقه يدل على كمال الإيمان ، بأن يكون منقادا لله ولرسوله ﷺ بفعل جميع الأوامر وترك جميع النواهي ، في العبادات والمعاملات ، وفي هذا القسم يختلف الناس بحسب قوة الإيمان وضعفه ، والمخالفة في هذا القسم تنافي كمال الإيمان الواجب .

**فالمنافاة التامة لهذا الشرط** تحصل عند عدم وجود الحد الأدنى من الانقياد ، ويكون ذلك بـ : ١- عدم الانقياد لما تضمنته هذه الكلمة من الاستسلام التام لأحكام الله وأحكام الرسول ، وذلك بالطعن فيها أو اعتقاد أنها على خلاف ما ينبغي . ٢- أو بأن يقدم تقليد الآباء والعادات المخالفة للشرع على شرع الله طوعا واختيارا ، ولو خالف ركنا من أركان الشهاداتتين ، فيكون بذلك قد أتى بما ينافي الإيمان .

**والمنافاة الجزئية :** أن يلتزم بما تقتضيه هذه الكلمة بامتنال الأوامر واجتناب النواهي ، ولكنه يفشل في تطبيق بعضها . وهذا يتفاوت فيه الناس ، فمنهم من ينقاد للأحكام الشرعية إذا وافقت هواه ، ويمتنع عن الانقياد إذا تعارضت معه ، فهذا انقياد ناقص يشوبه وجود التقصير .

فتحقيق هذا الشرط يكون بالانقياد بمحاولة الوصول إلى ما يمكن الوصول إليه من كمال الانقياد في كلا القسمين ، وهو الانقياد الذي يخلوا من كل ماينافي هذا الشرط منافاة تامة ، أو جزئية . فالانقياد التام درجاته كثيرة ، وليس لتمامه حد ، والانقياد الناقص هو الأغلب . والله تعالى أعلم .

## المقدمة الخامسة في بيان الشرط الثامن ( العمل بالجوارح ) وفيها ست مسائل

### المسألة الأولى : التنبيه على التلازم بين القول والاعتقاد والعمل

هناك من قسم القول إلى قسمين: قول اللسان وقول القلب، وقسم العمل إلى قسمين: عمل القلب وعمل الجوارح، وهناك من خص القول باللسان وحده، والعمل للجوارح، وفسر عمل القلب بالاعتقاد، وهي تقسيمات اصطلاحية والمعنى واحد.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في " تفسير الإيمان " فتارة يقولون: هو قول وعمل. وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية. وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة. وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وكل هذا صحيح. فإذا قالوا: قول وعمل فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعا؛ وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك إذا أطلق... والمقصود هنا أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح؛ ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب" (١) ٢ ولا شك بأن تفسير الإيمان بأنه قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح أوضح في بيان المقصود ويزيل الخلاف اللفظي عند السلف في معنى الإيمان، وهذه المعاني الثلاثة، قد تضمنتها أركان الشهادتين وشروطهما:

- فالجزء الأول من معاني الإيمان هو: قول اللسان، وقد تحقق في الركن الأول من أركان الشهادتين، وهو ركن النطق بهما.
- الجزء الثاني من معاني الإيمان وهو اعتقاد القلب، وقد تحقق في موضعين:
  - الموضع الأول: اعتقاد القلب الذي تضمنته بقية أركان الشهادتين وهي: ركن النفي، وركن الإثبات، وركن المتابعة، فإن جميع ما تضمنته من المعاني هي اعتقاد بالقلب.
  - الموضع الثاني: اعتقاد القلب الذي تضمنته شروط الشهادتين وهي العلم والقبول والمحبة اليقين والصدق والإخلاص والانقياد فكل هذه الشروط هي من عمل القلب كما تقدم.

(١) - الإيمان الكبير ٩٧-٩٨

- الجزء الثالث من معاني الإيمان وهو: عمل الجوارح وهو من لوازم عمل القلب، وهو العمل بموجب شروط الشهادتين - من العلم والقبول والمحبة اليقين والصدق والإخلاص والانقياد - من خلال أداء بقية أركان الإسلام المتمثلة في الصلاة، والزكاة، والصوم والحج، ويلحق بها الجهاد ونحو ذلك من أعمال الجوارح.

### السؤال الثاني: هل العمل بالجوارح شرط للصحة؟ أم شرط كمال؟

(( قال الشيخ عبد العزيز الراجحي في جريدة الجزيرة عدد ١٢٥٠٦ في ١٣/٧/٢٣هـ : "وقد سألت شيخنا الإمام ابن باز رحمه الله عام (١٤١٥هـ). وكنا في أحد دروسه رحمه الله . عن الأعمال : أهى شرط صحة للإيمان ، أم شرط كمال ؟ فقال رحمه الله : من الأعمال شرط صحة للإيمان لا يصح الإيمان إلا بها كالصلاة ، فمن تركها فقد كفر. ومنها ما هو شرط كمال يصح الإيمان بدونها ، مع عصيان تاركها وإثمه. فقلت له رحمه الله : من لم يكفر تارك الصلاة من السلف ، أيكون العمل عنده شرط كمال ؟ أم شرط صحة ؟ فقال : لا ، بل العمل عند الجميع شرط صحة ، إلا أنهم اختلفوا فيما يصح الإيمان به منه ؛ فقالت جماعة : إنه الصلاة ، وعليه إجماع الصحابة رضي الله عنهم ، كما حكاه عبد الله بن شقيق. وقال آخرون غيرها. إلا أن جنس العمل لا بد منه لصحة الإيمان عند السلف جميعاً. لهذا الإيمان عندهم قول وعمل واعتقاد ، لا يصح إلا بها مجتمعة( أهـ. ) نقلاً عن جريدة الجزيرة -

### السؤال الثالث: المقصود بالعمل في هذا الشرط

مما تقدم تبين أن العمل في كلام أهل العلم يشمل أعمال القلوب ، وأعمال الجوارح ، وعمل القلب داخل فيما تقدم من الأركان باستثناء النطق بالشهادتين فهو قول باللسان ، وعمل القلب داخل أيضاً في جميع الشروط المتقدمة بلا استثناء ، لأن مدار الأركان الثلاثة (النفي والإثبات والمتابعة) ، ومدار الشروط السبعة المتقدمة ، مبني على الاعتقاد القلبي وقد سبق توضيح ذلك . فالمقصود بالعمل هنا هو العمل بالجوارح . وهو شرط من شروط الشهادتين ودليل ظاهر على توفر جميع الأركان وبقية الشروط في كل من يؤدي عمل الجوارح .

**المسألة الرابعة : العلاقة بين** الدلالة الظاهرة لعمل الجوارح ، والدلالة الباطنة للأركان وبقية الشروط .

الدلالة الظاهرة للأركان تتمثل في النطق بالشهادتين ، وأما الباطنة فتتمثل في وجود الاعتقاد الصحيح الذي تضمنته تلك الأركان الثلاثة من النفي والإثبات والمتابعة ، وما تضمنته بقية الشروط من علم القلب وقبوله ، ومحبهه وبقينه وصدقه وإخلاصه وانقياده . فالامتثال ظاهرا بنطق الشهادتين ، دليل على توفر الدلالة الباطنة لتلك الأركان والشروط ظاهرا .

وأما الدلالة الظاهرة للأركان والشروط فتتمثل في عمل الجوارح كالصلاة، والزكاة، والحج والجهاد ونحو ذلك من أعمال الجوارح. فالامتثال للأوامر والنواهي -ظاهرا- يدل على توفر الأركان والشروط باطنا . فإن المكلف لم يمتثل لإداء أعمال الجوارح إلا لأنه -فيما يظهر- قد وجد عنده الاعتقاد الصحيح الذي تضمنته تلك الأركان ، ووجدت عنده الدلالات الباطنة الصحيحة التي تضمنتها تلك الشروط . ولكن هذا الامتثال الظاهر لا يعني عن الامتثال الباطن ، ولا يصح بدونه ، كحال المنافق ، فإنه امتثاله ظاهر .

**فالدلالات الباطنة لهذه الأركان والشروط لا تثبت إلا بعمل الجوارح ومما يدل على ذلك:**

قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ من الآية ( ١٠٥ ، سورة التوبة ) ، وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (من الآية ١١٠ سورة الكهف) وقوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ ﴿ وَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴾ ﴿ الآيتان ٢ ، ٣ العنكبوت . وقال سبحانه : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُؤْنَ ﴾ البقرة .

وجه الاستدلال من عموم الآيات ، وما جاء في معناها : أن الإيمان يقتضي العمل .

**المسألة الخامسة : حكم الدلالة الباطنة والدلالة الظاهرة نفيا وإثباتا**

الدلالة الباطنة لهذه الأركان والشروط - من : الاعتقاد الصحيح بما تضمنته الأركان من العقيدة في النفي والإثبات والمتابعة ، وما تضمنته الشروط من : علم القلب ، ومحبهه ، وصدقه ، وإخلاصه ، وبقينه ، وقبوله ، وانقياده - فهذه لا سبيل إلى إثباتها ، ولا إلى نفيها ، فيما يتعلق بأحكام الآخرة ، فعلمها عند الله وحده ،

أما في أحكام الدنيا، فإنها تبني على الظاهر. والمعنى: أنه قد يوجد منه الامتثال الظاهري فيحكم له بالإسلام، مع أنه قد يكون من حيث الدلالة الباطنة فاسد العقيدة، وقد لا يوجد عنده الامتثال الظاهر فيحكم بكفره أو فسقه، مع أنه قد يكون من حيث الدلالة الباطنة صحيح العقيدة.

أما إذا لم توجد الدلالة الظاهرة- (عمل الجوارح)، (فلم يمتثل بفعل الأوامر وترك النواهي)- فهل يستدل بذلك على نفي الدلالة الباطنة؟ لا يخلو الأمر: إن كان ترك الأمور به، أو فعل المنهي عنه يعد ناقضا من نواقض الإسلام؛ فإن هذا يعتبر دليلا على نفي الدلالة الباطنة في أحكام الدنيا، فإن من يدعي الإسلام، ويقع في ناقض من نواقض الإسلام الظاهرة، كالشرك بالله، أو يكون تاركا للصلاة - على القول بتكفيره-، أو تاركا لجميع الأعمال فإنه يحكم بكفره - من حيث الاعتقاد فقط (١) : يعني اعتقاد كفر من فعل ناقضا من نواقض الإسلام- ولكن هذا الحكم الذي بنيته على الظاهر، لا يعني تطبيق أحكام الكفر عليه من حيث استباحة دمه وماله وغير ذلك من أحكام الردة، فهذا لم يقل به أحد ممن يعتبر قوله؛ لأن تطبيق أحكام الكفر على المعين لا بد أن يكون بحكم شرعي، يصدر من حاكم شرعي في ولاية شرعية، بعد إقامة الحجة والاستتابة، والتأكد من توفر الشروط وانتفاء الموانع.

وأما أحكام الآخرة فعلمها عند الله، وظاهر الكتاب والسنة أن من مات على ناقض من نواقض الإسلام المتفق عليها فهو من أهل النار عند من ثبت له ذلك، ولا يعني ذلك أن هذا هو الحكم عند الله، وإنما تعبدنا ببناء الأحكام الشرعية على ما يظهر لنا بالدليل.

وبناء على ذلك، فالامتثال للأوامر والنواهي -ظاهرا- كالصلاة، والزكاة، والحج والجهاد ونحو ذلك من الأعمال الظاهرة يدل على توفر الدلالة الباطنة لهذه الشروط ظاهرا. وعدم الامتثال للأوامر والنواهي ظاهرا، يدل دلالة ظاهرة على فقدان الدلالة الباطنة لهذه الشروط ظاهرا.

فزوال الدلالة الباطنة للحد الأدنى لأي شرط من هذه الشروط يزيل الإيمان بالكلية، فإذا زال الحد الأدنى من تصديق القلب، أو رضاه، ومحبهه لله، وصدقته، زال الإيمان بالكلية، وإذا زال شيء من الأعمال كالصلاة، والحج والجهاد مع بقاء تصديق القلب وقبوله: فهل يزول الإيمان

(١) - ينظر: مقدمات في التكفير وضوابط تطبيقه على المعين وفيه ما يشفي بإذن الله، وهو كتيب صغير تم تحكيمة من قبل لجنة علمية متخصصة تابعة لمركز محمد بن نايف للمناصرة، وهو من الكتب التي يتم تدريسها في المركز.

بالكلية؟ وهل يكفر تاركه أو لا يكفر؟ وهل: يفرق بين الصلاة، وغيرها أو لا يفرق، فهو محل خلاف. قال القاضي عياض -رحمه الله-: "... واختلف العلماء في قتل تارك غير الشهادتين، فأكثرهم على أن ذلك حدٌّ لا كفرٌ، وهو الصحيح، وقيل: كفر والقول بهذا في تارك الصلاة أكثر " (١) وتقدمت الإشارة لذلك في كلام الشيخ ابن باز رحمه الله في المسألة الثانية.

---

(١) - إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاضي عياض (١/ ١٨١)

## المسألة السادسة : أدلة شرط عمل الجوارح وقد دل على ذلك الكتاب والسنة : فمن الكتاب : ماتقدم في المسألة الرابعة ومن السنة :

(١) ماجاء في البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله " (١).

(٢) وفي الصحيحين عن بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " أمرت أن أقاتل الناس **حتى يشهدوا** أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله " (٢).

(٣) وتقدم حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين عندما ذكر أن مبنى الإسلام على أركان خمسة أربعة منها عمل بالجوارح .

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٨٧) برقم: (٣٩٢) (كتاب الصلاة ، باب فضل استقبال القبلة ) (بهذا اللفظ)

(٢) - . أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٤) برقم: (٢٥) (كتاب الإيمان ، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ) (بهذا اللفظ) ومسلم

في "صحيحه" (١ / ٣٩) برقم: (٢٢) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ) (بمثله).

## ولتحقيق شرط العمل بالجوارح قسمان :

**القسم الأول :** وهو العمل الضروري ، وهو الحد الأدنى من أعمال الجوارح كالصلاة ، فمن تخلف عنه مثل هذا العمل فهو فاقد لهذا شرط عند كثير من أهل العلم ، وقد تقدمت الإشارة إلى الخلاف ، وكذا من كان تاركا لجنس العمل بالجوارح فهو يكفر بلا خلاف بين السلف كما تقدم .

**القسم الثاني:** العمل التكميلي للقسم الأول وتحقيقه يدل على كمال الإيمان ، بأن يقوم بجميع الأوامر بما في ذلك المندوب ، وترك جميع النواهي بما في ذلك المكروه في العبادات والمعاملات ، وفي هذا القسم يختلف الناس بحسب قوة الإيمان وضعفه ، والمخالفة في هذا القسم قد تنافي كمال الإيمان الواجب إذا كان المخل به في أعمال الجوارح من الواجبات ، او المحرمات .

**فالمنافاة التامة لهذا الشرط ،** عدم وجود الحد الأدنى من العمل ، بحيث أنه لا يعمل شيئا من جنس عمل الجوارح ، أو يترك عملا يعد تركه كفرا عند الكثيرين كترك الصلاة .

**والمنافاة الجزئية :** أن لا يلتزم التزاما تاما بما تقتضيه هذه الكلمة بامتنال الأوامر بفعلها واجتناب النواهي بتركها ، وهذا بتفاوت فيه الناس ، فهناك من يخل ببعض الواجبات ، ويرتكب بعض المحرمات فهو واقع فيما ينافي كمال الإيمان الواجب .

فتحقيق هذا الشرط يكون : بمحاولة أداء جميع الواجبات والمندوبات ، وترك جميع المحرمات والمكروهات ، ومحاولة الوصول إلى مايمكن الوصول إليه من كمال عمل الجوارح . وقد قال صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشيء من الدلجة" (١) .

فأداء جميع أعمال الجوارح من الواجبات والمندوبات ، وترك جميع المحرمات والمكروهات درجاته كثيرة ، وليس لتمام ذلك حد ، والانقياد الناقص هو الأغلب . والله تعالى أعلم .

=====

تم بحمد الله صباح يوم الجمعة ، الموافق للسادس والعشرين ، من شهر ذي القعدة ، من عام واحد وأربعين وألف وأربعمائة للهجرة النبوية . في المدينة النبوية ، على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تسليم .  
والحمد لله رب العالمين .

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٧) برقم: (٣٩) (كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ) (بهذا اللفظ)